الأسئلة والأجوبة المفيدة في التوحيد والعقيدة

إعداد

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد

الأسئلة والأجوبة المفيدة
في التوحيد والعقيدة

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤٣٣ هـ

مكتبة أنوار التوحيد

www.alanwor.com

الأسئلة والأجوبة المفيدة في التوحيد والعقيدة

إعداد

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله، ويتّبع رضوانه ويجتنب سخطه، فإنما نحن به وله.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

أعظم العلوم وأشرفها على الإطلاق العلم الذي يُعرِّف الإنسان بربه وخالقه، ويدلُّه على توحيده، ويبيِّن له الطريق الموصل إليه، وهذا العلم ليس نافلة وإنما فرض عين على كل مكلف، فالواجب على العبد أن يبادر في تحصيل هذا العلم لكي يتمكن من أداء حق الله عليه، فإن نجاته مرهونة بأداء هذا الحق الذي أوجبه ربه عليه وخلقه من أجله، كما جاء في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ رِدْفَ(٢) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟». قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»(٣).

فالتوحيد هو أهم قضية يجب أن تشغل بال الإنسان، وتأخذ تفكيره، ويصرِف لها عمره كله،

(١) رواه مسلم.

(٢) معنى ردف: هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

فمن أجلها خُلق، وعليها يُسأل ويُحاسب، وبها يتحدد مصيره، فرحم الله امرأً نصح نفسه، وعرف أن وراءه جنةً ونارًا، وأن الله عَزَّوَجَلَّ جعل لكل منهما أعمالًا، أما الجنة فمفتاحها توحيد الله، من أتى به يوم القيامة فمصيره إلى الجنة ولو أتى بِقُرَاب(١) الأرض خطايا، وأما النار فأهلها الكفار والمشركون والمنافقون، فمن مات على غير التوحيد لم يجد رائحة الجنة، ومصيره إلى النار خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، فرحم الله امرأً، تنبَّه لهذا الأمر العظيم، قبل أن يَعَضَّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتبعتُ في الدنيا طريق رسول الله ﷺ، وكنتُ على الإسلام ولم أُفارقه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ [الفرقان: ٢٧].

وأكثر الناس اليوم في غفلة عن تعلم التوحيد ومعرفة أركانه وشروطه، يظنون أنهم قد حازوا التوحيد بمجرد قولهم لا إله إلّا الله، وهم لمعناها جاهلون، وبحقيقتها كافرون، وبضدها يدينون، أصبح معنى الإسلام عندهم هزيلًا، وقيمته بينهم ضعيفة، فمنهم من يعتبره مجرد النطق بكلمة التوحيد، ومنهم من يظنه في الاعتقاد دون العمل، ومنهم من يحسبه مجرد الانتساب المزيف الذي لا حقيقة له، وصاروا يقولون لا إله إلّا الله، والشرك قائمٌ في قلوبهم ظاهرٌ في أعمالهم وأقوالهم، قد اتخذوه دينًا، فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة، فأثبتوا ما نفته من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، فيقول قائلهم: لا إله إلّا الله، وقد اعتقد عكس ما دلّت عليه؛ وهذا غاية الجهل والضلال.

فبهذا يتبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»(٢). فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي يعيشها اليوم الموحدون المتمسكون بدينهم.

فإذا كان هذا الأمر قد خفي على أكابر العلماء في هذه الأزمنة، فكيف لا يكون تعلُّمه وتعليمه أهم الأمور؟ خصوصًا إذا كان الإنسان لا يصح له إسلامٌ ولا إيمانٌ إلا بمعرفة هذا التوحيد،

(١) قُراب الأرض: بضم القاف، وقيل بكسرها، والضم أشهر، وهو: ملؤها أو ما يقارب ملئها.

(٢) رواه مسلم.

وقبوله، ومحبته، والعمل به بالقلب واللسان والجوارح.

ومدارسة التوحيد مهمة حتى لمن حقَّقه ظاهرًا وباطنًا؛ فالمسلم كلما ازداد معرفة لدين الله ازداد يقينه بأن ما يدين به هو الحق الذي لاشك فيه، وأن ما عليه أكثر أهل الأرض هو الباطل والضلال المبين، وأنهم على دين أسلافهم من الكفار الذين يعبدون الأصنام ولا يوحدون الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [هود: ١٠٩].

ومساهمةً منّا في تسهيل تعلُّم التوحيد والأمور المهمة في عقيدة المسلم أعددنا هذه الرسالة في صورة أسئلة يتْبعها جوابها بأسلوب حاولنا قدر الإمكان أن يكون سهلًا ميسرًا للجميع، ولست وحدي من قام بهذا العمل، ولكن تمَّ – بحمد الله – بإعانة عدد من الإخوة الأفاضل شاركوا في إعداده، وقاموا بتخريجه ومراجعته وتنسيقه، وقد استفدت من نصائحهم وملاحظاتهم كثيرًا، بارك الله فيهم، وشكر الله سعيهم، وأثابهم عليه خير الثواب، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، نسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه، وأن يهدينا و يسددنا وييسر الهدى لنا، ويجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

اللّٰهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

س (١): لماذا خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ؟

ج: خلَقَنا الله لنعبده وحده ولا نشرك به شيئًا.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته وحده والانقياد لأمره فاحرص على أن تكون عبادتك كلها لله، وحياتك كلها لله، ومماتك لله، ولا تصرف شيئًا من العبادة لغيره، ولا تتبع في حياتك كلها إلّا منهج الله وحده.

س (٢): ما هي الأمانة التي حملها الإنسان؟

ج: الأمانة هي طاعة الله بأداء الأوامر واجتناب النواهي.

وكل شيء من الدين أمانة، فالشهادتان أمانة، والصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والعهد أمانة، والحكم بين الناس أمانة،....وغيرها.

فمن أدى الأمانة كما أمره الله جزاه الله خير الجزاء، ومن ضيعها عاقبه الله.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فانظر – رحمك الله – هل أنت ممن حمل الأمانة وأدّاها كما يريد الله، أم أنك ممن ضيَّعها وخانها، والعياذ بالله.

س (٣): ما هو العهد الذي أخذه الله على بني آدم؟

ج: العهد الذي أخذه الله على بني آدم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

فكونوا عباد الله على العهد الذي عاهدتم الله عليه واحذروا أن تشركوا به شيئًا، فيوم القيامة لن يقبل الله عذر من اعتذر بالجهل والغفلة أو اتباع الآباء والأجداد والشيوخ على الباطل، فهذا ليس عذرًا عند الله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»(١).

س (٤): ما هي الفطرة التي خلقنا الله عليها؟

ج: الفطرة التي خلقنا الله عليها هي الإسلام، خلقنا الله حنفاء مسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(٢).

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ(٣) عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»(٤).

س (٥): ما هو حق الله على عباده؟

ج: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، قَالَ:

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) معنى اجتالتهم: أي استخفوهم، فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه إلى الباطل.

(٤) روه مسلم.

فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»(١).

فمن أدى حق الله حفظه الله ونجَّاه، ومن ضيّع حق الله ضيَّعه الله وخذله وعذَّبه بالنار.

س (٦): ما معنى كلمة (الرب)؟

ج: معنى كلمة (الرب) هو المالك للشيء المتصرف فيه بما يريد، يقال: رب الدابة، ورب الدار، ورب البيت.

والرب هو السيد المطاع، قال الله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٤١]، فيسقي ربه: يعني سيده.

والله عَزَّوَجَلَّ هو رب كل شيء، له وحده الخلق والملك والأمر والسيادة والحكم لا شريك له، والخلق كلهم عبيده وتحت قهره وسلطانه.

وربوبية الله عَزَّوَجَلَّ لا تتمثل في الخلق والرزق والملك فقط بل تتمثل في الأمر والحكم والسيادة والتشريع أيضًا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، فكما أن الخلق والملك لله وحده كذلك الأمر والتشريع لله وحده، وهذا أمر لا يُقِرُّ به أكثر الكفار، فهم يفرقون بين الخلق والأمر، يؤمنون بأن الخلق لله وحده ويتخذون من دونه أربابًا يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فالربوبية التي جعلوها للأحبار والرهبان هي حق الأمر والتشريع، فكان الأحبار والرهبان يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله ويشرعون ما لم يأذن به الله، وكان أتباعهم يطيعونهم في ذلك ويقبلون ما شرعوه.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

كذلك اليوم أكثر الناس يتخذون قادتهم وسادتهم أربابًا من دون الله، يعطونهم حق الأمر والتشريع، ويطيعونهم من دون الله، ويتبعون أحكامهم وقوانينهم ويحكمون بها ويتحاكمون إليها.

فمن اتخذ حكَمًا ومشرِّعًا غير الله فقد اتخذ ربًّا من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

س (٧): ما معنى كلمة (الإله)؟

ج: الإله هو المعبود، فمن عبد شيئًا فقد اتخذه إلهًا، قال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٧١]، المعنى واضح في هذه الآيات أنهم يعبدون الأصنام من دون الله، هذه المعبودات هي آلهتهم التي أنكر عليهم خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عبادتهم إياها، ودعاهم لتركها، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤]، ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٩].

والإله الحق هو الذي يستحق العبادة والتأليه وحده دون سواه، وهو الله عَزَّوَجَلَّ ذو الألوهية على خلقه أجمعين.

س (٨): ما معنى كلمة (الدين)؟

ج: الدين هو الانقياد والطاعة والاتّباع، فما كان انقيادًا وطاعةً واتّباعًا لله فهو دين الله، وما كان انقيادًا وطاعةً واتّباعًا لغير الله فليس دينًا لله، بل هو دين جاهلي.

وقد سمَّى الله دينه الإسلام، ومعناه التسليم لأمر الله وما جاءت به رسله، والانقياد له والعمل به.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال ابن جرير: [ومعنى الدين في هذا الموضع الطاعة والذلة..

وقال: فتأويل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾: إن الطاعة التي هي الطاعة عنده، الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية][1] ا.هـ.

[قال سعيد بن جبير: والدين: العبادة، فإنك لن تجد رجلًا من أهل دين يترك عبادة أهل دينه ثم لا يدخل في دين آخر إلا صار لا دين له، والعبادة هي الطاعة، وذلك أنه من أطاع الله فيما أمره به وفيما نهاه عنه فقد أتم عبادة الله، ومن أطاع الشيطان في دينه وعمله فقد عبد الشيطان، ألم تر أن الله قال للذين فرَّطوا: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس: ٦٠]، وإنما كانت عبادتهم الشيطان أنهم أطاعوه في دينهم، فمنهم من أمرهم فاتخذوا أوثانًا، أو شمسًا، أو قمرًا، أو بشرًا، أو ملكًا يسجدون له من دون الله، ولم يظهر الشيطان لأحد منهم فيتعبد له أو يسجد له، ولكنهم أطاعوه فاتخذوها آلهة من دون الله...][2] ا.هـ.

قال النحاس: [وفلان في دين فلان أي في سلطانه وطاعته][3] ا.هـ.

وقال ابن تيمية: [والدين هو العبادة والطاعة والذل ونحو ذلك، يقال: دِنْتُهُ فَدَانَ: أي ذَلَّلْتُهُ فَذَلَّ... وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ»[4] وهو الإسلام وهو الاستسلام لله لا لغيره، بأن تكون العبادة والطاعة له والذل، وهو حقيقة لا إله إلا الله، ولا ريب أن ما سوى هذا لا يُقبل، وهو سبحانه يُطاع في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان، فلا إسلام بعد مبعث محمد ﷺ إلا فيما جاء به وطاعتِه][5] ا.هـ.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يوسف: ٧٦].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمَرْوَزِي.

(٣) معاني القرآن للنحاس.

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) مجموع الفتاوى.

دين الملك هو: حكمه وسلطانه وقضاؤه، [قال ابن عباس والضحاك: في سلطان الملك، وقال قتادة والسُّدِّي: في حكم الملك وقضائه. قال ابن جرير الطبري: وأصل الدين الطاعة][1].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]، قال أبو الليث: في دين الله أي في حكم الله[2]. وكذلك قال البغوي وابن كثير.

فإذا كان الحكم المطاع والمتبع هو حكم الله فالدين لله، وإذا كان الحكم والسلطان لغير الله فالدين لغير الله.

س (٩): ما هو الدين الذي يرضاه الله ويحبه؟

ج: الدين الذي يرضاه الله ويحبُّه هو الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

عَنِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[3].

معنى الحنيفية: الاستقامة على إخلاص العبادة لله وحده واتّباع شريعته من غير تبديل ولا تحريف.

معنى السمحة: السهلة ليس فيها ضيق ولا تكلف ولا شدة ولا حرج.

س (١٠): هل يقبل الله من أحدٍ دينًا غير الإسلام؟

ج: لا يرضى الله بغير الإسلام، ولا يقبل من أحدٍ دينًا غيره.

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير السمرقندي.

(٣) رواه أحمد، والطبراني، والبخاري في الأدب المفرد، وحسّن الحافظ إسناده في الفتح.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

كل من خرج عن عبادة الله وحده إلى عبادة غيره فهو على غير الإسلام، وكل من خرج عن اتّباع ما شرعه إلى اتّباع ما شرع غيره فهو على غير الإسلام.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كل ما خالف طريق الله المستقيم الذي شرعه لعباده وبلَّغه رسوله فليس دينًا لله.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١).

قوله «فَهُوَ رَدٌّ»: يعني مردود باطل لا يُعْتَدُّ به.

س (١١): ما معنى الإسلام؟

ج: الإسلام: هو الاستسلام والانقياد الخالص لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥].

معنى ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾: يعني استسلم وانقاد لطاعة الله مخلصًا دينه لله.

معنى ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: يعني متّبعٌ ما شرعه الله.

فالإسلام هو الاستسلام والانقياد لأمر الله وقبول شرعه والاحتكام إليه في الحياة كلها ورفض ما خالفه.

فالمسلم من استسلم وانقاد لله مخلصًا له الدين ولم يشرك به شيئًا، فيُسلِم حياته بالكامل اختياريًا لشرع الله راضيًا بشرع الله منهجًا لحياته وحكَمًا يردُّ إليه كل ما يعرض له في حياته.

ومن رفض التسليم لأمر الله واستكبر عن الانقياد له فهو كافر أخو إبليس عليه لعنة الله.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

معنى ﴿ أَبَىٰ﴾: امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له.

معنى ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ﴾: يعني تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله، ولم يؤمن بأمر الله.

ومن استسلم لله ولغيره فهو كافر مشرك.

قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا مثلٌ للمشرك والمسلم.

المثل الأول مثل المشرك: ﴿ رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾، أي عبدٌ يشترك فيه أكثر من سيد، وهم متنازعون فيه، يأمره أحدهم بأمر ويأمره الآخر بخلافه.

والمثل الآخر مثل المسلم: ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، عبدٌ له سيد واحد لا ينازعه فيه غيره، يأتمر بأمر سيده وينتهي عند نهيه، ولا يتلقى الأمر من غيره.

فالمسلم ليس له إلا معبود واحد يعبده ولا يشرك به شيئًا ويكفر بكل معبودٍ سواه، والمشرك يعبد الله ويعبد غيره.

س (١٢): ما الذي يميز الإسلام عن غيره من الأديان؟

ج: الذي يميز الإسلام عن غيره من الأديان هو التوحيد، فالإسلام يقوم على عبادة الله وحده بما شرعه من العقائد والشعائر والشرائع التي جاءت بها رسله، وكل دين لا يقوم على توحيد الله واتّباع رسله فليس دينًا لله، فالحد الفاصل بين الإسلام والكفر هو الإيمان بأنه لا إله إلا الله اعتقادًا وقولًا وعملًا.

فعبادة الله وحده بما أنزل على رسله هي دين الله، وعبادة غير الله هي دين المشركين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤ ﴾ [يونس: ١٠٤].

س (١٣): ما معنى توحيد الله؟

ج: توحيد الله: هو إفراده سبحانه بما يستحقه ويختص به دون خلقه، وأن لا يُجعل له نِدٌّ ولا شريك.

فالله عَزَّوَجَلَّ واحد في ذاته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، لا نظير له، ولا سَمِيَّ، ولا كُفْءَ، ولا نِدَّ، ولا شريك، ولا صاحبة له ولا ولدا.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال الله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

س (١٤): من هو الموحد؟

ج: الموحِّد هو من آمن بالله وحده، ولم يشرك به شيئًا، وكفر بما سواه من المعبودات والطواغيت.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

معنى ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾: لم يخلطوا إيمانهم بالشرك، أي لم يخلطوا بين الإيمان بالله والشرك به، بل عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئًا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

س (١٥): ما معنى الشرك بالله؟

ج: الشرك بالله هو أن يُجعل شريكٌ مع الله في شيء من خصائص ربوبيته أو ألوهيته.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجن: ٢٠].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»[١].

س (١٦): من هو المشرك؟

ج: المشرك من أشرك مع الله أحدَ مخلوقاته، فجعله شريكًا لله في ربوبيته أو ألوهيته.

أو هو من صرف لغير الله شيئًا من خصائص الله، مثل من يتوجه بالعبادة لغير الله، أو يتّبع تشريع غير الله.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[٢].

س (١٧): ما هي أقسام التوحيد؟

ج: التوحيد قسمان:

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو توحيد الله في الخلق والملك والأمر والحكم.

القسم الثاني: توحيد الألوهية أو الإلهية، وهو توحيد الله في العبادة.

س (١٨): ما معنى توحيد الربوبية؟

ج: الربوبية هي أفعال الله في خلقه، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، وتصريف الرياح، وإنزال المطر، وغيرها.

وتوحيد الله في الربوبية هو الإيمان بأن الله وحده خالق كل شيءٍ وربه ومليكه، وهو وحده الذي يدبِّر أمور خلقه، ويتكفل برزق عباده، وهو الذي بيده وحده نفعهم وضرهم، وبيده الخير كله، وهو القادر على ما يشاء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وله خزائن السموات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو.

وأن الملك والسيادة والسلطان لله وحده لا شريك له، والأمر والحكم والتشريع لله وحده، ليس لأحد غيره من الأمر شيء، ولا يشرك في حكمه أحدًا، وليس لأحد أن يشرِّع بغير إذنه.

وأن كل ما يحدث في هذا الكون بِعِلْمِ الله وقدرته وقضائه وقدَره.

س (١٩): كيف يتحقق الإيمان بأن كل ما يحدث في الكون بقضاء الله وقدره؟

ج: أن نؤمن بأن كل ما في هذا الكون بخلق الله وتقديره، فلا يكون شيءٌ إلا بقضاء الله وقدره صغيرًا كان أو كبيرًا، خيرًا أو شرًا، طاعةً أو معصيةً.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»[(١)].

وأيضًا يجب أن نؤمن بأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

(١) رواه مسلم. والعجز هو عدم القدرة، والكيْس ضد العجز؛ وهو النشاط والحذق بالأمور. ومعناه أن العاجز قد قدّر عجزُه، والكيِّس قد قدّر كَيْسُهُ.

كذلك يجب أن نؤمن بأن الله يعلم كل شيء قبل أن يكون وبعد أن يكون، وأنه لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، علِم جميع خلقه وجميع أحوالهم قبل أن يخلقهم، وعلِم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم، قد أحاط بكل شيء علمًا، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤].

وقد كتب الله مقادير كلِّ شيءٍ في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلق، فما يحدث من شيءٍ صغيرٍ ولا كبيرٍ إلا وهو مقدّر مكتوب عند الله، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢]، وقال: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣].

س (٢٠): هل هناك أحدٌ ينفع ويضر مع الله؟

ج: النفع والضر كله بيد الله، ولا أحد ينفع ويضر إلّا بإذن الله.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فلا يملك أحدٌ من الخلق أن ينفع نفسه أو غيره، أو يضر نفسه أو غيره، إلّا بإذن الله وتحت مشيئته.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٢-٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

إذا كان المخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا إلّا أن يشاء الله، فكيف ينفع غيرَه أو يضره من دون الله؟

فما ينفع أحدٌ إلّا بإذن الله، ولا يضر إلّا بإذنه، قال الله عن السحرة: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالواجب أن نعتمد على الله وحده في دفع الضرّ وكشف السوء وجلب الخير، ونتوكل عليه في كل شيء، قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وألّا نتعلق بالمخلوقات الضعيفة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

س (٢١): ما هو الدليل على أن الأمر والحكم لله؟

ج: الدليل على أن الأمر والحكم لله وحده هو تفرد الله بالخلق والملك، فالله عَزَّوَجَلَّ خالق كل شيء ومالكه وربه وسيده، وما سواه عبد مملوك خاضعٌ لله، فالأمر والحكم لله؛ لأنه هو الرب والسيد والمالك لا شريك له.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ١٠].

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

س (٢٢): ما معنى توحيد الألوهية؟

ج: الألوهية هي (العبادة)، وهي حق خالص لله الذي توحّد بالخلق والملك والأمر والرزق والتدبير، فكل ما سوى الله عبدٌ لله لا يشارك ربه في شيء من خصائصه، وما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده.

وتوحيد الألوهية هو توحيد العبادة، وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة والبراءة من كل ما يعبده المشركون من دونه. فالعبادة بجميع أنواعها يجب أن تصرف كلها لله وحده، لا يُجعل شيءٌ منها لغيره.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾ [النحل: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

س (٢٣): هل ينكر الكفار وجود الله وربوبيته للكون؟

ج: أكثر الكفار يؤمنون بوجود الله، وأنه هو الخالق المالك الرازق، وهو الذي يحيي ويميت، وينزل المطر ويصرِّف الرياح.

ولكنهم لا يوحِّدون الله، بل يعتقدون النفع والضر في غير الله، ويجعلون له شفعاء ووسطاء من خلقه، ويَنْسِبون له الولد والصاحبة، ويجعلون الأمر والحكم والتشريع لغيره.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٦٣﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

س (٢٤): هل الإيمان بوجود الله وربوبيته يفرّق بين الكافر والمسلم؟

ج: الإيمان بربوبية الله لا يميز بين المسلم والكافر؛ لأن غالب الكفار يؤمنون بوجود الله، وأنه هو الخالق المالك الرازق، وهو الذي يحيي ويميت، ويدبر الأمر، وليس المسلمون وحدهم هم الذين يؤمنون بذلك.

والذي يميِّز بين المسلمين والكفار هو توحيد الله في ربوبيته وألوهيته.

فالمسلمون يوحِّدون الله في ربوبيته وألوهيته، ولا يشركون به شيئًا.

والكفار لا يوحِّدون الله، بل يجعلون له شركاء وأندادًا يعبدونهم من دون الله.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

يُقِرُّون أن الله خالقهم ومالكهم ورازقهم، وهم مع ذلك يجعلون لله شريكًا ويعبدون غيره.

س (٢٥): هل كان الكفار الذين دعاهم الرسول ﷺ للإسلام يؤدون عباداتٍ لله؟

ج: كان كفار قريش ومن حولهم يتعبدون لله ببعض العبادات التي ورِثُوها عن ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكانوا يدعون الله، ويحجُّون البيت، ويعتمرون ويطوفون بالكعبة، ومنهم من يقف بعرفات، وكانوا يتركون أشياء من المحرمات تعبُّدًا لله.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

[قال السُّدِّي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة، أخذوا بأستار الكعبة، واستنصروا الله، وقالوا: اللَّهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين][(١)].

---

(١) تفسير الطبري.

وروى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ﴾ [المائدة: ٢]، قال: [كان المشركون يحجون البيت الحرام، ويهدون الهدايا، ويعظمون حرمة المشاعر][(١)].

وروى ابن أبي حاتم عن قتادة قال: [وكانوا يحرّمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجّون البيت، ويَنسِكُون المناسك][(٢)].

وكان اليهود والنصارى أيضًا يتعبدون لله مع شركهم، يصلون ويصومون، ولهم دور خاصة بالعبادة.

س (٢٦): هل الكفار في هذا الزمان يؤدون عباداتٍ لله؟

ج: نعم، أكثر الكفار اليوم يعبدون الله ويعبدون غيره.

مثلًا: الذين ينتسبون للإسلام وينطقون الشهادتين، ويُصلّون، ويصومون، ويحجون، ويقرؤون القرآن، ويدعون الله، ويُضحُّون، ويعفون اللحى، ويرفعون الأُزر، ويتركون كثيرًا من المحرمات تعبدًا لله، ومع ذلك فهم لا يوحِّدون الله، منهم من يعبد القبور، ومنهم من يطيع العلماء في مخالفة دين الله، ويقدِّم أقوالهم على قول الله ورسوله، ومنهم المشرّعون ما يخالف شرع الله، ومنهم المتّبعون لما يشرِّعه لهم شركاؤهم من دون الله، ومنهم الذين يحكمون بشرائع وقوانين من عند غير الله، ومنهم من يتحاكمون للطاغوت، ومنهم من يوالون ويعادون لغير الله.

كذلك اليهود والنصارى يعبدون الله ويعبدون غيره، ويقولون لا إله إلّا الله، ويصلون، ويصومون، ويتعبدون في صوامعهم وكنائسهم.

س (٢٧): هل يكون عابدًا لله من يعبد الله ويعبد غيره؟

ج: لا يكون عابدًا لله من يعبد الله ويعبد غيره؛ لأن عبادته لغير الله أحبطت عمله كله فلم

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم.

تنفعه عبادته لله، وصار بعبادة غير الله مشركًا عابدًا لغيره، والعابد لله هو من عبده مخلصًا له الدين، أي عبده وحده ولم يشرك به شيئًا.

قال الله تعالى عن الكفار الذين يعبدون الله ويعبدون غيره: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون: ٣]، كرَّرها في آيتين من نفس السورة.

فالإنسان إما أن يعبد الله وحده مخلصًا له الدين فيكون عابدًا لله، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة:١٣٨].

والعابد لله لا يكون عابدًا لغير الله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ [الكافرون: ٤].

وإما أن يعبد الله ويعبد غيره، أو يتوجه بالعبادة كلها لغير الله، وفي الحالتين يكون عابدًا لغير الله، وكل من عبد غير الله فإنما هو عابد للشيطان، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس:٦٠- ٦١].

س (٢٨): هل تنفع الكفار أعمالهم الصالحة شيئًا؟

ج: لا ينفع الكفارَ ما يعملونه من الأعمال الصالحة، ولا تقرِّبهم إلى الله شيئًا، ولا يتقبل الله منهم؛ لأنهم لا يوحِّدون الله، بل يشركون به ويعبدون غيره.

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

[قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: لما أُسِرَ العباس يوم بدر عَيَّره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا. فقال له علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ألكم محاسن؟ فقال: نعم، إنّا لنعمر المسجد الحرام، ونحْجُب الكعبة، ونسقي الحاج،

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ردًّا على العباس: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ.... ﴾](١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

[قال المفسرون: ومعنى الآية أن كل ما يتقرب به المشركون يَحْبُط ولا ينتفعون به كالرماد الذي سَفَتْه الريح فلا يقدر على شيء منه، فهم لا يقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي لا يجدون ثوابه](٢).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنَ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»(٣).

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ نَذَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَنْحَرَ مِائَةَ بَدَنَةٍ، وَأَنَّ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ نَحَرَ حِصَّتَهُ خَمْسِينَ بَدَنَةً، وَأَنَّ عَمْرًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَبُوكَ، فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ، نَفَعَهُ ذَلِكَ»(٤).

س (٢٩): ماهي دعوة المرسلين؟

ج: دعوة المرسلين هي الدعوة إلى توحيد الله والإيمان بأنه لا إله إلا الله اعتقادا وقولا وعملا.

فالله عَزَّوَجَلَّ أرسل الرسل ليدعوا الناس لأن يسلموا وجوههم لله وحده، وأن يتحرروا من كل أنواع العبودية لغيره، ويجمعوا كل معاني العبودية لله وحده، من طاعة، وخضوع، وانقياد، وتعظيم، وتقديس، وحب، ورجاء، وخوف، وإجلال، ودعاء، واستغاثة، وتوكل، ونحوها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

(١) تفسير البغوي.

(٢) تفسير زاد المسير لابن الجوزي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، وابن أبي شيبة، والبيهقي في السنن، وقال الهيثمي في المجمع: "رواه أحمد، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس"، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس كما قال الحافظ في التقريب.

فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قوله: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾: أي أخلصوا لي العبادة ولا تشركوا بي شيئًا. وهذا هو معنى كلمة التوحيد أن يُعبد الله وحده ويُكفر بما دونه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

والأنبياء كلهم على دين واحد هو الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

قال ابن كثير: [والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له][(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[(٢)].

معنى قوله «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: أي أخصهم به وأقربهم إليه؛ لأنه ليس بين رسولنا ﷺ وبين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي، وقد بَشَّرَ عيسى بأنه يأتي من بعده.

ومعنى قوله «إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ»: إخوة من الأب، أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد.

والمعنى: أن أصل دين الأنبياء واحد ودعوتهم واحدة، وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أن أولاد العلات أبوهم واحد، وإن كانت أمهاتهم شتى.

س (٣٠): هل يصح دعوة الكافر إلى الصلاة وغيرها؟

ج: يجب أن يُدعى الكافر أولًا إلى توحيد الله، فإن أجاب لذلك ننتقل لدعوته إلى شرائع الإسلام بداية من الصلاة ثم ما يلزمه من الشعائر الأخرى كالزكاة ونحوها؛ وذلك لأن أول الواجبات الشهادتان شهادة أن لا إله إلا الله وما تدلّ عليه من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله،

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ وما تقتضيه من الإيمان بما جاء به، فمن أتى بالشهادتين لزمه ما بعدهما من شعائر الإسلام، ومن لم يأت بهما لا تنفعه الصلاة ولا الزكاة ولا غيرهما.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، فأول الأمر التوحيد وهذا في الرسالات كلها.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(١).

وفي رواية البخاري: «... فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...»(٢).

فإذا رأينا من يشرك بالله لا يحسن أداء الصلاة علينا أن ندعوه لترك الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لأن هذا هو أصل الدين، فعلينا أن نصلح أصل دينه أولًا ثم نصلح صلاته، لأننا إذا دعوناه إلى إقامة الصلاة أو غيرها وهو مقيمٌ على كفره صار مصلّيًا كافرًا، والكافر لا يرفع له عمل، فالدعوة الصحيحة تبدأ بإصلاح الأصل قبل إصلاح الفرع، هذا هو الترتيب الصحيح، وهذه هي سبيل الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

س (٣١): ما الذي أنكره الكفار من دعوة المرسلين، وكرهوه ولم يطيعوهم فيه؟

ج: الذي أنكره الكفار على رسل الله ولم يطيعوهم فيه هو التوحيد «أن يُعبد الله وحده»، فهم لم ينكروا أن الله يستحق العبادة، ولكن أنكروا أن يُوحد الله في العبادة فلا يُعبد غيره.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١٢]. يكفرون بالتوحيد «أن يُعبد الله وحده»، ويؤمنون بالشرك «أن يُعبد الله ويُعبد غيره».

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥]. معنى ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾: يعني نفرت قلوبهم من التوحيد وتضايقت واستكبرت.

وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣]. أي ثَقُلَ وعَظُمَ عليهم التوحيد.

ومن التوحيد الذي أنكروه إفراد الله باتّباع شرعه وحده، واتخاذه مصدرًا وحيدًا للتشريع، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ [الأنعام:١١٤].

وقال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود: ٨٧].

أنكروا أن يحكم شرع الله حياتهم ومعاملاتهم واقتصادهم، كما ينكر ذلك اليوم العلمانيون(١) الكفرة.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

فبعضهم يرضى بتقديم العبادات لله في المساجد والكنائس وغيرها ولا يقبل أن يحكمه شرع الله في علاقاته مع الناس، أو يتحاكم إلى شرع الله وإلى غيره دون غضاضة(٢) فيعبد الله ويعبد غيره ويظن أنه مسلم، فبعضهم يريد أن يوفِّق بين الكفر والإسلام فيعبد الله وغيره معًا بالمناسك

---

(١) ما هي العلمانية؟ تجد الجواب عنها في السؤال رقم: ٨٠.

(٢) دون غضاضة: أي دون حرج أو عيب.

والشعائر المختلفة، وبعضهم يريد أن يجمع بين شرع الله وشرع غيره، ويقول: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

س (٣٢): ما هو الرأي الذي عرضه الكفار على رسول الله ﷺ؟

ج: عرض الكفار على رسول الله ﷺ أن يعبدوا إلهه سنة؛ يُصلّون له ويدعونه ويذبحون له ويتقربون إليه، فإذا مضت السنة رجعوا إلى آلهتهم يعبدونها مع الله، ويعبدها معهم رسول الله ﷺ مع عبادته لربه، هكذا سنة بسنة.

وفي رواية أنهم عرضوا عليه أن يشتركوا معه في عبادة الله ويشترك معهم في عبادة آلهتهم.

فرفض رسول الله ﷺ هذا العرض السخيف، وأنزل الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون].

وأنزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ [الزمر: ٦٤].

لكن هناك من يقبل هذا العرض اليوم، ويدعو إليه ويعتبره إسلامًا.

س (٣٣): ما موقف رسول الله ﷺ مما عرضه عليه المشركون؟

ج: أنكر رسول الله ﷺ على المشركين ما عرضوه عليه وأعلن رفضه له بقوة، ولم يوافقهم عليه طمعًا في أن يُسلموا بعدها لله وحده، ويتركوا عبادة غيره عندما يرون سماحة الإسلام ويلمسونه عن قرب؛ وذلك لأن عرضهم هذا هو الذي جاء يدعوهم لتركه، فهو يناقض دينه من الأساس، فالرسول ﷺ جاء يدعوهم للتوحيد وهم يدعونه للشرك، ولو وافقهم عليه - وحاشاه أن يفعل - لصار مشركًا مثلهم يعبد الله ويعبد غيره.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنعام: ٥٦].

وهذا ما وقع فيه اليوم كثير من الدعاة الذين لم يتبرؤوا من الشرك وأهله بصفة حاسمة وواضحة وصريحة.

س (٣٤): ما معنى أن توحيد الله في العبادة هو أصل دين؟

ج: معناه أن القاعدة والأساس الذي يُبنى عليه الدين ولا يصح إلّا به هو التوحيد، وكل شرائع الدين تأتي بعد التوحيد، فبدون توحيد لا يصح شيءٌ من الدين لا الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد ولا غيرها، والتوحيد هو الحد الفارق بين الإسلام والكفر، وكل دين لا يُبنى على التوحيد فهو باطل، وهو أول شيء يفعله الكافر إذا أراد الدخول في الإسلام.

والدليل على ذلك: أن الأنبياء جميعًا بدؤوا دعوتهم بالأمر بالتوحيد، فكل رسول كان أول ما يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا هو توحيد العبادة، ولو كان هناك شيء قبله لبدؤوا به.

والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من أحد عملًا إلا بشرط الإيمان، وأساس الإيمان بالله توحيده، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]، وقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء:٩٤].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ»(١).

بدأ بالتوحيد فهو أول شيءٍ يُبنى عليه الإسلام.

وعندما نقول أن التوحيد هو أصل الدين فهذا يعني أن نبدأ به دعوتنا للإسلام، فمن استجاب إليه وأتى به دعوناه لما بعده من شعائر الدين كالصلاة وغيرها، ومن لم يأتِ به فلا داعي للحديث معه عن الصلاة وغيرها، فبدون توحيد سواءٌ أدّى الناس الصلاة أو تركوها هم كفارٌ لا يقبل الله

(١) رواه مسلم.

منهم عملًا؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[١].

س (٣٥): ما هو جزاء من مات على التوحيد؟

ج: جزاء من وحد الله ولم يشرك به شيئًا أن يدخله الله الجنة ويرحمه ويغفر له ذنوبه.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله.

والمصدِّق به الموحدون المؤمنون بالقرآن من النبي وأتباعه.

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ[٢] النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[٣].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سبق تبيين المعنى في أول الكتاب.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

س (٣٦): ما هو جزاء من مات على الشرك؟

ج: جزاء من لم يوحّد الله ومات وهو يشرك بالله: أن الله لا يقبل عمله، ولا يغفر ذنبه، ولا يُدخله الجنة، ويخلِّده في النار.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

س (٣٧) ما هو المفهوم الصحيح للعبادة؟

ج: العبادة: هي التذلل والخضوع والانقياد والطاعة.

قال الله تعالى: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

معنى ﴿ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾: [أي أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم][(١)].

وعبادة الله: هي طاعته بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وتحليل ما أحلَّه وتحريم ما حرَّمه، واتّباع ما شرعه، والحكم بما أنزله.

ومفهوم العبادة واسعٌ يشمل الحياة كلها الخاصة بالفرد والحياة العامة للمجتمع، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلا بد أن تشمل هذه العبودية الحياة كلها بجميع مجالاتها حتى الممات، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

---

(١) تفسير الطبري.

س (٣٨): ما هي أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله؟

ج: الأصل الجامع لعبادة الله هي طاعته وطاعة رسوله في كل ما شرعه الله من العقائد والأوامر والنواهي والحلال والحرام وسائر الأحكام.

وأنواع العبادة كثيرة يدخل فيها الدين كله، ومن أمثلتها:

الدعاء، وهو سؤال الله عَزَّوَجَلَّ قضاء الحاجات وكشف الكربات ودفع المضرات، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، فالدعاء عبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

والصلاة وما تشتمل عليه من قيام وركوع وسجود وخشوع وذكر وتعظيم كلها عبادة، كذلك الذبح وذكر اسم الله على الذبيحة عبادة، والصوم والزكاة والصدقة والنذر والحج وما يشتمل عليه من الطواف والتلبية والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار والهدي كلها عبادات لله.

وأعمال القلوب من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والخشية والرهبة والخشوع كلها عبادة لله.

كذلك الحكم بين الناس بما أنزل الله في ما يحدث لهم من نزاع وخصومات وما ينظِّمون به حياتهم عبادة يجب أن تكون خالصة لله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، فالرجوع إلى الكتاب والسنة عند التنازع والاختلاف عبادة لله، مثلما نرجع إليه في أحكام صلاتنا وصيامنا.

كذلك تحليل الحلال وتحريم الحرام عبادة يجب أن تكون خالصة لله وحده، فنُحِلُّ ما أحل الله ونحرِّم ما حرَّمه.

كذلك اتّباع ما شرعه الله من أحكام المعاملات كالبيوع والزواج والطلاق والعتق والميراث والدِّيات وسائر ما شرعه الله.

س (٣٩): ما هو شرط صحة العبادة وقبولها عند الله؟

ج: لا تصح العبادة ولا يقبلها الله إلا بثلاثة شروط:

الأول: التوحيد، وهو أصل العبادة كلها، والشرط الذي لا تصح إلا به، فلا يقبل الله من أحدٍ قولًا ولا عملًا إلا بشرط التوحيد، فمن أشرك بالله حبطت جميع أعماله ولم تصح منه أي عبادة ولا يقبل الله له عملًا.

مثلًا: الصلاة عبادة (لأن الله أمرنا بها)، فمن وحّد الله قُبِلَتْ صلاته، وتكون صلاته عبادة وقربة لله، ومن أشرك بالله لم تقبل صلاته، ولا تسمى هذه الصلاة عبادة شرعية لله، لأن شركه بالله أفسد عليه عباداته كلها.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

الثاني: أن تكون بما شرع الله موافقة لما جاء به الرسول ﷺ، فالله لا يُعبد إلا بما شرع، وكل ما لم يشرعه الله فليس عبادة لله.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر: ٧].

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١).

الثالث: أن يُقصد بها وجه الله تعالى والتقرب إليه وحده.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

س (٤٠): ما معنى إخلاص النية في العبادة؟

ج: هو أن يكون مراد العبد وقصده بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

س (٤١): ما هي أنواع الشرك في العبادة؟

ج: أي نوع من أنواع العبادة إذا صُرِفتْ لغير الله فهي شرك بالله يناقض التوحيد.

وأنواع الشرك الأكبر كثيرة منها:

الشرك في المحبة والتعظيم: وهو المبالغة في محبة المخلوق وتعظيمه ورفعه فوق منزلته التي خلقه الله عليها وجعله ندًّا لله. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الشرك في الدعاء: فمن توجه بالدعاء لغير الله يسأله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك بالله. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، فجعل دعاءهم من دون الله شركًا، فقال: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

الشرك في الذبح: فمن ذبح حيوانًا يتقرب به لغير الله فقد أشرك بالله. قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»(١).

الشرك في الحكم: فمن حكم بالأحكام والقوانين الوضعية والتشريعات التي لم يأذن بها الله فقد أشرك بالله. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

الشرك في الطاعة والاتّباع: فمن أطاع مخلوقًا في تغيير أحكام الله أو تشريع ما لم يأذن به فقد أشرك بالله. قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

أراد المشركون أن يجادلوا المسلمين ليُقْنِعُوهم بتغيير حكم الله في الميتة فيستحلونها، فأنزل الله هذه الآية ينهى المسلمين عن أكل الميتة ويحذّرهم من طاعة الكفار وموافقتهم في تحليل ما حرم الله، ويخبرهم أنهم لو أطاعوهم فاستحلوا ما حرم الله لكانوا مشركين مثلهم، مع أن الجدال حدث حول تغيير حكم واحد من أحكام الله وباقي الشريعة كما هي.

س (٤٢): ما معنى تَأْلِيه غير الله؟

ج: معنى تأليه غير الله هو اتخاذ معبود مع الله عَزَّوَجَلَّ، والمعبود هو الإله، فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد اتخذه إلهًا من دون الله.

فالذين يتوجهون بشيءٍ من العبادة لغير الله عابدون لغير الله مؤلِّهون لغيره، والذين يتّبعون شرعًا آخر عوضًا عن شرع الله عابدون لغير الله مؤلِّهون لغيره، والذين يشرِّعون الشرائع والقوانين خلاف شرع الله مؤلِّهون لأنفسهم مع الله.

ومن أمثلة تأليه غير الله:

---

(١) رواه مسلم.

* تأليه قوم نوح لمن مات من علمائهم وصالحيهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح: ٢٣].
* تأليه قوم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للأصنام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤].
* تأليه قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للعجل، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝٨٨﴾ [طه: ٨٨].
* تأليه النصارى للمسيح وأُمِّه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٦].
* تأليه كفار العرب للأصنام والأوثان كَهُبَل واللّات والعزَّى ومناة وغيرها، قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].
* تأليه أكثر أهل الأرض لأهوائهم، قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤].

س (٤٣): هل هناك فرقٌ بين من يسمي معبوده من دون الله إلهًا ومن لا يسمي معبوده إلهًا ويزعم أنه ليس له إله غير الله؟

ج: ليس هناك فرق بين من يسمي معبوده إلهًا ومن لا يسميه إلهًا ويزعم أنه لا يؤلِّه غير الله، فمجرد التوجه بشيءٍ من العبادة والخضوع والانقياد والطاعة المطلقة لأحد غير الله تأليهٌ له مع الله، فالذين يعبدون غير الله ولا يسمون معبوداتهم آلهة ويَفِرُّون من تسميتها آلهة هم في الحقيقة جعلوها آلهة، فلا يُغني عنهم عدم تسميتها آلهة ولا يُفيدهم شيئًا، فهم مؤلِّهون لغير الله شاءوا أم أَبَوا.

قال الله عن أهل الكتاب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، معنى ﴿أَحۡبَارَهُمۡ﴾ علماؤهم، و ﴿رُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ هم أصحاب الصوامع وأهل الزهد من النصارى.

فاليهود والنصارى لم يكونوا يسمُّون علماءهم وعُبَّادهم أربابًا، ولا يسمون طاعتهم لهم فيما يحلون ويحرمون عبادة، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قال أنهم عبدوا أحبارهم ورهبانهم واتخذوهم أربابًا من دون الله، وهذه هي الحقيقة، وجعل فعلهم هذا تأليهًا لغير الله كتأليههم المسيح من دون الله، كلاهما نقيض ما أُمروا به من تأليه الله وحده.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ»، فَطَرَحْتُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةٌ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا. فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ. فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»[(١)].

كذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ فيمن اتّبع هوى نفسه حتى أدخله في الكفر: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، مع أنه لم يُسمِّ هواه إلهًا.

س (٤٤): ما معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؟

ج: معنى لا إله إلا الله نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله وحده.

والإله هو المعبود الذي يتوجه له الخلق بالخضوع والذل والانقياد والتقديس والتعظيم، ولا يستحق ذلك أحد إلا الله وحده؛ لأنه هو الخالق وحده، والمالك وحده، والرازق وحده، والآمر الناهي والحَكَمُ بين عباده وحده، بيده الخير والرزق والنفع والضر، وكل ما سواه عبدٌ خاضعٌ له.

ولا إله إلا الله هي الكلمة المعبّرة عن التوحيد، ومعناها الذي دلّت عليه الآيات والأحاديث

---

(١) رواه الترمذي في السنن، ونسب السيوطي في الدر المنثور تحسين الحديث إلى الترمذي، وزاد نسبة الحديث وعزْوه إلى ابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مَرْدَوَيه، والبيهقي في سننه.

وجاءت به رسل الله هو الكفر بما يُعبد من دون الله وإخلاص العبادة لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قوله ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: هو معنى النفي (لا إله)، ومعناه: البراءة من المشركين وما يعبدون من دون الله.

وقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: هو معنى الإثبات (إلا الله)، ومعناه: إخلاص العبادة لله وحده.

قوله ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

وقال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قوله ﴿ يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هو معنى النفي (لا إله)، ومعناه: الكفر بما يعبد من دون الله.

قوله ﴿ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هو معنى الإثبات (إلا الله)، ومعناه: الإيمان بأن الألوهية لله وحده.

قوله ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: العروة الوثقى هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

وقال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(١).

وفي رواية: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ»(٢).

وفي رواية أخرى: قوله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(٣).

فشهادة أن لا إله إلا الله هي توحيد الله وهي عبادة الله والكفر بما دونه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

س (٤٥): ما هما الركنان اللذان تتكون منهما كلمة التوحيد؟ وهل يصح أحدهما دون الآخر؟

ج: كلمة التوحيد تتكون من ركنين هما:

الركن الأول: النفي، وهو قولنا (لا إله).

ومعناه: نفي الإلهية عن غير الله، أي أنه لا أحد في الكون كله يستحق أن يتوجه الناس إليه بالخضوع والاستسلام والطاعة والتعظيم غير الله، فكل معبود غير الله باطل.

الركن الثاني: الإثبات، وهو قولنا (إلّا الله).

ومعناه: إثبات الألوهية لله وحده، أي أن الله وحده المستحق للخضوع والاستسلام والتقديس والتعظيم والانقياد لأمره والتسليم لحكمه، لا شريك له.

فعندما تقول (لا إله إلّا الله) يعني أنك تنفي وترفض العبودية لغير الله، وتثبتها لله وتخلصها له وحده.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

والتوحيد هو النفي والإثبات جميعًا (لا إله إلّا الله)، فتنفي أولًا العبادة عن كل ما سوى الله وتثبتها لله وحده، وذلك بالاعتقاد والقول والعمل.

فإذا قال قائل: (لا إله) وسكت، فهذا نفيٌ من غير إثبات، فلا يدل على التوحيد، بل ظاهره يدل على إنكار وجود إله.

وإذا قال قائل: (الله إله)، فهو إثبات من غير نفي، أيضًا لا يدل على التوحيد؛ لأن هذا اللفظ يحتمل أن هناك إلهًا مع الله، وهذا ما يعتقده الكفار قديمًا وحديثًا، فهم يعتقدون في ألوهية الله ولكنهم لا يوحدونه بل يعبدون غيره، ولا يكفرون بألوهية غيره.

ولكي تكون موحدًا لا بد أن تكفر بألوهية غير الله وتؤمن بألوهية الله وحده، وهذا هو الإيمان بـ(لا إله إلّا الله).

س (٤٦): هل يكفي أن يقول الإنسان لا إله إلا الله بلسانه ليكون من المسلمين؟ أم لا بد أن يعتقدها ويعمل بها؟

ج: المراد من كلمة (لا إله إلا الله) المعنى واللفظ جميعًا، فهي كلمة التوحيد، واللفظ وحده لا يحقق التوحيد ولا ينفي الشرك، بل لا بد من اللفظ والمعنى جميعًا، ولا يتحقق هذا إلا بعد معرفة المعنى الذي دلت عليه والإيمان به اعتقادًا وقولًا وعملًا.

والله عَزَّوَجَلَّ لم يبعث رسله ليدعوا الناس ليقولوا كلمة دون أن يفقهوا معناها ويعملوا بها، بل بعثهم ليدعوا الناس لعبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فعبادة الله واجتناب الطاغوت هو معنى لا إله إلا الله، ولا يكون الإنسان عابدًا لله بمجرد قوله (أنا أعبد الله) حتى يعبده فعلًا فيخلص له العبادة بجميع أنواعها وصُوَرِها، كذلك لا يكون مجتنبًا للطاغوت بمجرد قوله (أنا كافر بالطاغوت) حتى يجتنبه ويترك عبادته ويبرأ منها ومن أهلها.

وقد كان الرسول أول ما يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [لأعراف:٥٩]، وهذا الأمر هو أول ما يبلِّغه الرسول من دين الله لقومه، وهو معنى لا إله إلا الله، ولا يدخل أحدٌ دين الله إلا بعد أن يستجيب لهذه الدعوة ويمتثل لهذا الأمر فيعبد الله وحده ويكفر بما سواه.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فبيّن أن الرسل كلهم بُعثوا بلا إله إلا الله، وأن المراد من دعوة الرسل أن تكون العبادة كلها لله، وهو قوله ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾.

والرسول ﷺ عندما قال لقومه: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»[1] إنما أراد اللفظ والمعنى، وقد

---

(١) رواه أحمد، والحاكم وقال عنه: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

عرف الكفار أن قولها يعني ترك جميع الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

فلا يكون على دين المرسلين من ليس له من لا إله إلا الله إلا مجرّد اللفظ فقط؛ لأن هذا ليس هو دين المرسلين، بل دينهم الإيمان بأنه لا إله إلا الله اعتقادًا وقولًا وعملًا.

قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»(٢).

س (٤٧): كيف يكون الإيمان بـ (لا إله إلا الله)؟

ج: الإيمان بـ (لا إله إلا الله) يتحقق بأمرين هما: نفي ما نفته وإثبات ما أثبتته بالاعتقاد والقول والعمل.

أما نفي ما نفته كلمة التوحيد فهو الكفر بما يُعبد من دون الله بالاعتقاد والقول والعمل.

وأما إثبات ما أثبتته فهو الإيمان بالله وإخلاص العبادة له بالاعتقاد والقول والعمل.

وذلك بالاعتقاد الجازم بنفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله وحده، والشهادة بذلك انقيادًا واستجابةً لما عقد عليه قلبه، مع ترك الشرك واجتنابه بالكلية، والكفر بالأنداد والأرباب وكل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده.

كذلك يجب الإيمان بكفر من لم يؤمن بها اعتقادًا وقولًا وعملًا، والإيمان بإسلام من آمن بها حقيقة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذه دعوة للإيمان بـ (لا إله إلا الله) وهي الكلمة السواء.

قال ابن جرير الطبري: [﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾: يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحِّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئًا.

وقوله ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظِّمه بالسجود له، كما يسجد لربه.

وقال: اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا هو ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصي الله، وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله.

وقوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ يقول: فإن أعرضوا عمّا دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتُك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولِّين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون][1].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥].

س (٤٨): ما هو الطاغوت؟

ج: الطاغوت: هو كل من تجاوز حدّ العبودية لله، وتعدّى على حق ربه الخالص بالربوبية والألوهية، وصار شريكًا لله يُعبد من دونه.

فكل ما يتعلق بربوبية الله وألوهيته وما لا ينبغي لغيره، إذا ادَّعاه إنسانٌ لنفسه، أو أُعْطي له فَرَضِيَ به ولم يُنْكِره، فهو طاغوت متجاوزٌ لحدِّه ومحاربٌ لربه.

فالخلق والملك، والسلطان والسيادة، والأمر والحكم، والنفع والضر، والعبادة والطاعة المطلقة لله العلي القدير، من نازعه فيها فهو طاغوت كافر.

---

(١) تفسير الطبري.

قال الإمام ابن جرير الطبري: [والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء][(١)].

وقال ابن القيم: [الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حَدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتّبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله][(٢)].

س (٤٩): ما هي أنواع الطاغوت؟

ج: أنواع الطاغوت كثيرة، منها:

١- الشيطان إبليس عليه لعنة الله، وهو رأس الطواغيت جميعًا، فكل طغيان على الله وكل عبادة لغير الله من الشيطان، هو الآمر بها والداعي إليها.

٢- الكُهَّان والسحرة، وهم طواغيت لأنهم يدَّعون علم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله، ولأنهم يحكمون بين الناس بأهوائهم وضلالاتهم، ويأمرون الناس بالكفر والتقرب للجن والشياطين.

٣- رؤوس الضلالة الذين يُفتون الناس بما يعلمون أنه مخالف لدين الله، ويزينون للناس الشرك والكفر بالله.

٤- المشرّعون من دون الله، الذين يشرّعون للناس أحكامًا وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان، ويحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله، ويأمرون بمعصية الله أو يبيحونها قانونًا.

٥- الحكَّام الذين اختاروا الحكم بالقوانين الوضعية والتشريعات البشرية.

٦- الأنظمة العلمانية التي تحتكم لغير الله، كالديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية وغيرها.

٧- الأصنام و الأوثان التي تعبد من دون الله، مثل القبور والأضرحة والأشجار

(١) تفسير الطبري.

(٢) إعلام الموقعين.

والأحجار والتماثيل.

س (٥٠): هل الملائكة والأنبياء والصالحون الذين عُبدوا من دون الله يُسمَّون طواغيت؟ ولماذا؟

ج: لا يُسمَّى الملائكة والأنبياء والصالحون طواغيت؛ وذلك لأسباب منها:

١- لأنهم موحدون لا يشركون بالله شيئًا، ولا يرضون بهذه العبادة التي يصرفها المشركون لهم، ويكرهونها وينكرونها، ولا يحبون أن يُرفعوا فوق منزلتهم.

٢- لأنهم متبرئون من المشركين ومن كل ما يعبد من دون الله.

٣- لأن العبادة في الحقيقة لم تصرف لهم، و إنما صُرِفَت لشياطين الجن والإنس، الذين أمروا بذلك وزيَّنوه ودعوا إليه.

[عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنِي يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي المَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠]، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ السَّهْمِيُّ حَتَّى جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزِّبَعْرَى: وَاللَّهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آنِفًا وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ أَنَّا وَمَا نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنَا هَذِهِ حَصَبُ[1] جَهَنَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُوا مُحَمَّدًا: أَكُلُّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَعَجِبَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَمَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزِّبَعْرَى، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ خَاصَمَ واحْتَجَّ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الزِّبَعْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ

---

(١) حصب جهنم: أي وقودها وحطبها.

بِعِبَادَتِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، أَيْ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرٌ، وَمَنْ عُبِدُوا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ][1].

س (٥١): كيف نكفر بالطاغوت لنحقق لا إله إلا الله؟

ج: الكفر بالطاغوت هو دين الأنبياء جميعًا، كلهم كفروا بالطاغوت، ودعوا قومهم للكفر به، فالواجب علينا أن نتّبع ما جاء به الأنبياء في ذلك وخاتمهم نبينا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

والكفر بالطاغوت هو اجتناب عبادته والبراءة منه ومن أوليائه وعبيده.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر: ١٧].

أي اجتنبوا عبادة كل ما يُعبد من دون الله وأقبلوا على عبادة الله وحده.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

هذا هو دين الأنبياء جميعًا وأتباعهم، فيه بيان حقيقة الكفر بالطاغوت.

قوله ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ ﴾: براءة من عبيد الطاغوت وأوليائه، وهي مقدَّمة على البراءة من الطاغوت.

وقوله ﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: براءة من الطواغيت جميعًا وكل ما يُعبد من دون الله.

وقوله ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾: تحقيق للبراءة الأولى باعتقاد بطلان ما يدينون به وتكفيرهم وإنكار ما هم عليه من الكفر.

وقوله ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾: إظهار البراءة لهم.

---

(١) انظر تفسير الطبري، وسيرة ابن إسحاق، وأخبار مكة للفاكهي.

وقوله ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾: بيان أن سبب البراءة هو عبادتهم لغير الله، فإذا تركوا ما يعبدون من دون الله وعبدوا الله وحده زالت البراءة وصاروا أولياء متحابين متآخين في الله.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾ [سورة الكافرون].

قوله ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، وقوله ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: فيه البراءة من كل ما يعبد من دون الله واجتناب عبادته.

وقوله ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، وقوله ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾: فيه البراءة التامة من الكفار والمشركين، وأنهم ليسوا عابدين لله ماداموا يشركون به وإن زعموا أنهم يعبدون الله، فعبادتهم لله بطُلَتْ بعبادتهم غيره، وليسوا على دين الإسلام وإن زعموا أنهم على الإسلام وحسبوا أنهم مهتدون.

فمن عبد الله مخلصًا له الدين لا يكون عابدًا لغيره، ومن عبد الله مشركًا به لم يكن عابدًا لله.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: [فأما صفة الكفر بالطاغوت فهي: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفِّر أهلها، وتعاديهم](١).

س (٥٢): كيف نكفر بما يُعبد من دون الله من الأصنام والأوثان والقِباب والأضرحة؟

ج: الكفر بها هو أن نعتقد بطلانها، وأنها لا تملك نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً لأحد، ولا تملك شيئًا من الشفاعة، وأن ما يعتقده المشركون فيها وما يصرفون لها من العبادة ضلال وشرك وكفر بالله، ونجتنبها فلا نصرف لها شيئًا من العبادة من دون الله.

وأن نعتقد كفر من صرف لها شيئًا من العبادة من دون الله، أو اعتقد فيها ما لا ينبغي إلا لله، ونبرأ منهم، وإن كانوا يقولون لا إله إلا الله ويدَّعون الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا

(١) رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

س (٥٣): كيف نكفر بالطواغيت المشرّعين من دون الله والذين يحكُمون الناس بغير شريعة الله؟

ج: يتحقق الكفر بهؤلاء الطواغيت المشرعين مع الله بالبراءة منهم ومن أتباعهم وأوليائهم ومن تشريعاتهم وأحكامهم.

أما البراءة منهم: أن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأنهم طواغيت كفرة ليس لهم من الأمر والحكم والتشريع شيءٌ مع الله، وأن قوانينهم وتشريعاتهم كلها أحكام جاهلية باطلة وهي شرك بالله، ونبغضهم ونعاديهم.

وأما البراءة من أتباعهم وأوليائهم: أن نعتقد كفر أتباع هؤلاء المشرّعين وأوليائهم الذين اتخذوهم أربابًا لهم من دون الله يطيعونهم فيما يحلونه ويحرمونه ويشرّعونه، ويوالونهم وينصرونهم، ويحتكمون إليهم، ونبغضهم ونعاديهم.

وأما البراءة من تشريعاتهم وقوانينهم: أن نعتقد بطلانها ومناقضتها للإسلام، ونبغضها وننكرها ونهجرها ونجتنبها بالكلية فلا نطيعهم فيها من دون الله ولا نحكم بها ولا نتحاكم إليها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

س (٥٤): كيف نكفر بالأنظمة التي تعطي التشريع لغير الله، وتعزل دين الله عن نظام الحكم وحياة المجتمع العامة، وتحتكم لغير شريعة الله؟

ج: هذه الأنظمة أنظمة جاهلية طاغوتية يجب البراءة منها ومن أتباعها الموالين لها.

والموقف الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم ليصح إسلامه أن يعتقد بطلانها ومناقضتها للإسلام، وأنها أنظمة جاهلية طاغوتية، ويبغضها ويرفضها وينكرها، ويجتنبها فلا يتّبعها ولا يواليها ولا ينصرها، ويبرأ من أتباعها والموالين لها والداعين إليها والحاكمين بها والمحتكمين إليها، ويعتقد كفرهم وضلالهم، ويبغضهم ويعاديهم، ويعتقد أن إسلامهم لا يتحقق إلا بالكفر بهذا الطاغوت أولًا، قبل اتّباع شرع الله وتطبيق حدوده، لأنهم مشركون وليسوا مقصّرين في بعض الشرائع فقط من حدود وغيرها، وهذه الشرائع التفصيلية لا تصح إلا من المسلم الذي كفر بالطاغوت، وقد أمر الله بها المؤمنين، فقال مثلًا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [البقرة:١٧٨]، فلو اتّبعها الكفار كما نرى اليوم دون أن يكفروا بالطاغوت لما كانوا مسلمين مهما طبّقوا منها؛ لأنهم لم يتخلصوا من الشرك.

س (٥٥): كيف نثبت الألوهية لله وحده؟

ج: إثبات الألوهية كلها لله هو الركن الثاني من ركني التوحيد، والركن الأول هو نفيها عمّا سوى الله، وهو الكفر بالطاغوت، وقد سبق شرحه.

ويتحقق إثبات الألوهية لله بهذه الأمور:

١- الاعتقاد الجازم بأن الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو المعبود المطاع، وأن العبادة كلها خالصة لله وهي حقه علينا.

قال الله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢].

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢].

٢- التوجه بجميع أنواع العبادة لله وحده، فلا يُصرف منها شيء لغيره.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٤].

٣- الاحتكام لله وحده في جميع جوانب الحياة فيما يعتقده الإنسان وفي أخلاقه وسلوكه وفي تصرفاته ومعاملاته كلها، سواء ما يتعلق بالفرد أو الجماعة.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

٤- الولاء لله ورسوله والمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥].

س (٥٦): كيف نوحِّد الله في الشعائر والنسك؟

ج: الشعائر هي كل ما شرعه الله لعباده من القُرُبات والطاعات التي يتقربون بها إليه، فالصلاة وما اشتملت عليه من الذكر والقيام والركوع والسجود شعائر يُتقرب بها إلى الله، وكذلك الصوم والحج وما فيه من الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار والبُدْن والهدي كلها من شعائر الله، وهي تضم جميع معالم دين الله، وهو ما أعلمنا الله من فرائض دينه وعلاماتها وحدودها.

والنسك هو ذبح القربان تقربًا إلى الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، أي صلاتي وذبحي على قول أكثر المفسرين.

وتوحيد الله بالشعائر والنسك أن نتوجَّه بها إلى الله وحده ولا نتوجَّه بشيء منها لغيره.

مثلًا: لا نصلي لأحد غير الله، ولا ندعو أحدًا غيره، ولا نطوف إلا بالكعبة تقربًا لله، ولا نطوف بقبرٍ ولا شجرٍ ولا حجرٍ، ولا نذبح لغير الله، وهكذا جميع أنواع العبادة نجعلها لله وحده.

س (٥٧): كيف نوحّد الله في الحكم؟

ج: توحيد الله في الحكم يكون على النحو الآتي:

١- أن نؤمن بأن الأمر والحكم كله لله، وأنه ليس لأحدٍ من الخلق أن يحكم من عند نفسه دون الرجوع لحكم الله، وليس لأحدٍ أن يشرع بغير إذن الله.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر: ١١-١٤].

قوله ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: أي مخلصًا له الانقياد والطاعة مستسلمًا لأمر الله وحده.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي** بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

٢- أن نحتكم إلى الله وحده في أمورنا كلها، ولا نحتكم لغيره في صغير ولا كبير.

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

٣- أن نرجع فيما شجر بيننا من نزاع وخلاف لحكم الله ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ١٠].

وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

٤- أن نؤمن بجميع ما أنزله الله في كتابه وعلى لسان رسوله، ونتلقاه بالقبول والانقياد، ونعتقد بطلان ما خالفه ونرفضه ونجتنبه.

قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

٥- أن نَحكُم بما أنزل الله، ولا نستبدل بحكم الله حكم غيره.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

س (٥٨): كيف نوحّد الله في الولاء؟

ج: توحيد الله في الولاء أن نجعل الولاء لله ولرسوله والمؤمنين، والبراءة من الطواغيت وسائر المعبودات من دون الله ومن عابديها.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

والولاء لله يكون على الإسلام لا على شيءٍ آخر، فالمسلم يوالي المسلم لأنه على دينه، ويبرأ من الكافر لأنه على غير دينه.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة:١١]، أي تابوا من الشرك و آمنوا بالله وحده، كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ في حق الكفار: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١].

والولاء يجب أن يكون كله خالصًا لله، لا يُصرف شيءٌ منه لغير الله، ومن صرف شيئًا من الولاء لغير الله فقد أشرك بالله ولم يؤمن بـ (لا إله إلا الله)، فمن والى على أساس الوطن أو العرق أو الإنسانية ولم يضع اعتبارًا لفارق الدين فولاؤه لغير الله.

كذلك الولاء على أساس أي مذهب من المذاهب المناقضة للإسلام كالعلمانية الديمقراطية والاشتراكية والبعثية وغيرها.

ومن جعل ولاءه لغير الله فقد خرج عن ولاية الله إلى ولاية الطاغوت، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

س (٥٩): هل تكفير المشركين من أصل الدين؟ ولماذا؟

ج: لا يكون الإنسان مسلمًا حتى يعتقد اعتقادًا جازمًا لا يخالجه شك أن الدين الذي لا يقوم على عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه دين باطلٌ وهو كفر وشرك بالله، ويبرأ منه ومن أهله، فعبادة الله وحده هي دين الله الذي بعث به المرسلين، وعبادة غير الله هي دين المشركين، فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو من المشركين، ومن أخلص العبادة كلها لله وكفر بما يعبد من دونه وآمن برسوله واتّبع ما جاء به فهو على دين الإسلام، فالإيمان بأنه لا إله إلا الله اعتقادًا وقولًا وعملًا هو أصل الإسلام الذي يجعل الإنسان مسلمًا ويجعل المخالف له كافرًا، وهذا ما يؤمن به كل مسلم ولا يشك في هذا أحدٌ ويكون مسلمًا أبدًا، فمن شك في هذا لم يعرف الإسلام بعد.

ولهذا فإن تكفير المخالفين في أصل الدين جزءٌ لا يتجزّأ من أصل الإسلام، فلا يكون الإنسان كافرًا بالطاغوت مؤمنًا بالله وحده حتى يؤمن بكفر من خالفه في هذا الأصل، فالإيمان بكفر الكافر

من مقتضى التوحيد، ولا يمكن أن يتحقق التوحيد إلا بالإيمان بكفر من لم يوحد الله؛ لأن من لم يوحد الله ليس في دين الله، فالتوحيد هو أصل الإسلام والمخالفة فيه تعني الكفر، فهي مخالفة في الدين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

س (٦٠): كيف يكون الشرك بالله في الحكم؟

ج: الشرك بالله في الحكم يكون في عدة صور، منها:

١- إعطاء حق الحكم والتشريع لغير الله.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢١﴾ [الشورى: ٢١].

٢- تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾ [يونس: ٥٩].

وقال: ﴿ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝١٣٨ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن

يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨-١٤٠].

٣- قبول ما يشرّعه أولياء الشياطين من الحكام والرؤساء والعلماء بغير إذن الله.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال سبحانه: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

٤- الحكم بين الناس بأحكام الجاهلية والقوانين الوضعية.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]

٥- التحاكم إلى من يرجع في حكمه لغير حكم الله.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

س (٦١): متى يكون ترك الحكم بما أنزل الله كفرًا دون كفر؟

ج: معنى (كفرٌ دون كفر) أي كفرٌ عمليٌّ أو كفرٌ أصغرٌ لا ينقض أصل الإيمان، بل يبقى معه الأصل الذي يكون به مسلمًا، وما يضادُّ أصل الإيمان لا يسمى كفرًا أصغر، بل يسمى كفرًا أكبر أو كفرًا ينقل عن الملة وهو الذي يجعل صاحبه كافرًا، والكفر الأكبر منه الاعتقادي والعملي.

والمقصود أن الحكم بغير ما أنزل الله من عمل الكفار، فمن لم يحكم بما أنزل الله وهو على ملة الإسلام إنما يلحقه اسم الكفر من قِبل العمل فقط حيث أنه لم يأت بالكفر الذي يناقض أصل الإسلام، فيكون بتركه العمل بحكم الله مع إيمانه به كأهل الجاهلية الذين من سماتهم الحكم بغير ما أنزل الله، وذلك كقول النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ،

وَالْأَنْوَاءُ»[(١)]، ولا يخرج من الإسلام بتركه العمل بحكم الله مع إيمانه به وبقاء أصل الإسلام الذي يكون به الرجل مسلمًا ثابتًا عنده.

فدين الله له أصل وفرع، والكفر أيضًا له أصل وفرع، فأصل الكفر يضادُّ أصل الإيمان، وفروع الكفر تضادُّ فروع الإيمان وهي المجال الذي يزيد وينقص من الإيمان.

وأصل الدين هو الإيمان بأنه لا إله إلا الله اعتقادًا وقولًا وعملًا، هذا هو الأصل الذي يكون به الرجل مسلمًا، بثباته يثبت الإسلام وبزواله يزول، فمن اعتقد أو قال أو عمل ما ينقض هذا الأصل خرج من الإسلام بالكلية ولم يبق معه ذرة من الإيمان.

والكفر الأكبر هو أيُّ قولٍ أو اعتقادٍ أو عملٍ يناقض الإيمان بالشهادتين.

والإيمان بأن الحكم لله وحده، واتخاذه وحده حكَمًا، وقبول أحكامه وتشريعاته، والتسليم لها، والتحاكم إليها، وتحكيم رسوله في كل صغير وكبير، والإيمان بكل ما جاء به من عند الله، كلُ هذا من أصل الإيمان الذي لا يثبت عقد الإسلام لأحدٍ بدونه.

فمن اعتقد أن أحدًا غير الله له الحق في أن يحكم ويشرّع من عنده ما يشاء فهو كافرٌ مشرك.

ومن اتخذ حكَمًا غير الله يتلقى منه الأحكام والقوانين، ويرجع إليه عند النزاع فهو كافرٌ مشرك.

ومن قبِل التشريع من غير الله فهو كافرٌ مشرك.

ومن أنكر شيئًا من أحكام الله وهو يعلم أنه حكْم الله، أو رفض الانقياد لشيءٍ من أحكامه فهو كافرٌ مشرك.

ومن لم يكن مصدره الأساسي والوحيد في الحكم شريعة الله فهو لم يوحد الله وهو كافرٌ مشرك.

ومن استبدل بحكم الله حكم غيره فهو كافرٌ مشرك.

---

(١) رواه البخاري. قوله: «الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ» يعني: عيبها وتنقُّصها وذمّها، وقوله: «وَالنِّيَاحَةُ» هي: رفع الصوت بالبكاء على الميت والندب، وتعداد محاسن الميت، وقوله: «وَالْأَنْـوَاءُ» يعني: الاستسقاء بالأنواء وهي: النجوم، بمعنى نسبة المطر والسقي إلى النجوم والأنواء على أنها سبب. فهذه شركٌ وكفرٌ أصغر، وهي من أعمال الجاهلية، لكنها لا تخرج بصاحبها من الملة.

كل هؤلاء لا يصح أن يقال عنهم أن كفرهم لا يخرج من الملة؛ لأن هذا الكفر يُضادُّ أصل الإسلام ولا يبقى لصاحبه ذرة من إيمان.

أما الذي لم يحكم بما أنزل الله ويقال عنه أن عمله كفرٌ ولكن لا يخرج عن الإسلام فمثاله الذي يعتقد بأن الحكم لله وحده ويؤمن بأحكامه ويسلِّم لها ويؤمن بوجوب العمل بها، ولا يشرِّع ما لم يأذن به الله، ولا يقبل تشريعًا من غير الله، ولا يستبدل حكم غير الله بحكم الله، ولا يتخذ مصدرًا لحكمه غير شرع الله، ولكنه قد يعطل حكم الله فقط فلا ينفِّذه، فيظلم، أو يأخذ الرِشوة، أو يُحابي، أو غير ذلك، فيكون عاصيًا بتركه حكم الله، وهو مع هذا لا يزال متمسكًا بشريعة الله كمعيار ومرجعية يعرف بها الحق والباطل والحلال والحرام والحدود والعقوبات، ولقد عصى بعض حكام المسلمين الله في أحكامهم ولم يكفروا، فالقاضي الذي يعطِّل الحد أو يظلم في الميراث مثل الذي لا يؤدي زكاته كاملة مثلًا، أو يشرب الخمر معتقدًا حرمتها، فكلاهما لم يعبد الطاغوت وإن كان قد عصى ربه عَزَّوَجَلَّ.

أما من يتّبع شرعًا آخر غير شرع الله فيحكم به ويرجع إليه ويكون مصدره الذي يتلقى منه الأحكام فهذا قد آمن بالطاغوت وكفر بالله.

وحكم الحكام اليوم ليس مجرّد اتّباع للهوى ومعصية لله مع الحكم عمومًا بشرع الله، بل هو قبولٌ وانقيادٌ واستسلامٌ واحتكامٌ لشرع الطواغيت، وهذا إيمانٌ بالطاغوت وكفرٌ بالله.

والآيات الواردة في سورة المائدة نزلت في هذا الأخير، فقد ذكروا في سبب نزولها قصة اليهود ومجيئهم الرسول ﷺ في قضية الزنا، فحُكْم اليهود على الزاني الثيِّب بالجلد والتحميم ليس مجرد ترك لأمر الله بالرجم، بل هو حكم بشرعٍ ليس من عند الله بل من عند أحبارهم ورهبانهم الذين استبدلوا بحكم الله (وهو الرجم) الجلد والتحميم، فيكون الحاكم بالجلد والتحميم مشركًا كافرًا لأنه حَكَم بحُكْم الطاغوت المشرّع من دون الله، فالمشرِّع لهذا الحكم طاغوتٌ كافرٌ، والحاكم به طاغوتٌ كافرٌ، والمتحاكم إليه مشركٌ كافرٌ.

ولكي يكون الناس في دين الله لا بد أن يكون شرع الله هو المصدر الوحيد، لا المصدر الأول أو المصدر الرئيس فقط، وبعد أن يكون هو المصدر الوحيد قد تقع من المسلم مخالفات له

دون الكفر.

فالحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة وقد يكون معصية وذلك بحسب حال الحاكم، فمن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجبٍ وأنه مخيّرٌ فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، أو استبدل حكم غيره به فهذا كفرٌ أكبرٌ. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلِمه في هذه الواقعة وأقرَّ به ولكنه ترك العمل به مع اعترافه بأنه مستحقٌ للعقوبة فهذا عاصٍ ويسمى كافرًا كفرًا أصغر.

وأما إن جهل حكم الله مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور. والله أعلم.

س (٦٢): ما هي الشروط الواجب توفرها في من يقول لا إله إلا الله لكي تنفعه عند الله؟

ج: الشروط الواجب توفرها فيمن يشهد أن لا إله إلا الله لكي تكون شهادته مقبولة عند الله هي:

الأول: أن يكون عارفًا بما دلت عليه نفيًا وإثباتًا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦]، يعلمون حقيقة ما شهدت به ألسنتهم.

وقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

ولا يتحقق الإيمان بـ (لا إله إلا الله) إلا بعد المعرفة الصحيحة لمعناها، فالعلم أساس الاعتقاد والقول والعمل، ومن قالها وهو يجهل معناها ولا يعرف حقيقة التوحيد الذي دلت عليه لا يمكن أن يكون معتقدًا لها، وقوله إياها مجرد لفظ نَطقَ به وليس شهادة؛ لأن الشهادة مبنية على العلم وهو لا يعرف حقيقة ما نَطق به لسانه، كذلك العلم بالتوحيد وما يناقضه أساس العمل، فمن لم يعرف التوحيد كيف يعمل به؟ ومن لم يعرف الشرك كيف يتركه؟

---

(١) رواه مسلم.

الثاني: استيقان القلب بها.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

فمن كان شاكًّا في صحة التوحيد وبطلان الشرك لا ينفعه قول لا إله إلا الله وإن قالها في اليوم ألف مرة، ومن شك أو توقف في تكفير من يعبد غير الله فإنما يشك في صحة التوحيد وبطلان الشرك، ولو كان على يقين من صحة التوحيد لم يشك لحظة في كفر من لم يحقق التوحيد.

الثالث: القبول والانقياد لما دلت عليه ظاهرًا وباطنًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].

وعلامة القبول والانقياد لما تعنيه كلمة الإخلاص التزام التوحيد والعمل به اعتقادًا وقولًا

(١) رواه مسلم.

وعملًا، وموالاةُ أهله، واجتناب الشرك وإنكاره ورفضه وهجره اعتقادًا وقولًا وعملًا، والبراءةُ من أهله.

الرابع: الصدق والإخلاص في قولها.

فلا يبتغي بها إلا الإسلام لله وحده، لا يطلب بها عرضًا من الدنيا، ولا يخالف قوله عمله، فالدين ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل.

قال رسول الله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(١).

وقال ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»(٢).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»(٣).

ومن الناس من يقول لا إله إلا الله ويعمل بها ظاهرًا فيما بينه وبين الناس ولكنه لا يبتغي بذلك رضا الله وتحقيق عبوديته والإسلام له وحده، وإنما يبتغي بذلك عرضًا من الدنيا كالمال أو الزواج أو الجاه والمكانة، فهذا لا تنفعه لا إله إلا الله ولا تُغني عنه شيئًا، ومن الناس من يقولها ويعمل بها ظاهرًا ولكنه يخالفها بباطنه فهو منافق، أقبح من الكافر الذي أظهر الكفر بها؛ لأنه يخادع الله والمسلمين والله خادعه ومعذبه في النار في الدرك الأسفل منها.

الخامس: المحبة لها والموالاة والمعاداة لأجلها.

محبة التوحيد والعمل به ظاهرًا وباطنًا أساس الإسلام، ولا تصح محبة الله إلا بمحبة دينه، فمن لم يحب التوحيد لم يحب الله، ومن قال لا إله إلا الله وهو كارهٌ للتوحيد مُبغضٌ له كمن لا يقولها، فلا ينفع الإنسان قولها والعمل بها إذا لم يكن مُحبًّا لها مُبغضًا لما يناقضها، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن الكفار أن قلوبهم تشمئز من ذكر التوحيد وتضيق له صدورهم ويكرهون الحديث عنه والدعوة إليه، قال

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ [هود: ٥]، وقال: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح:٧].

ومن محبة التوحيد محبة الموحدين أهل لا إله إلا الله الصادقين المخلصين، وبغض المشركين ومعاداتهم.

هذه هي شروط شهادة التوحيد، إذا اجتمعت كلها لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وإن لم تجتمع كلها لم تنفعه، والناس متفاوتون في تحقيق هذه الشروط، فمنهم من ينفعه قولها ومنهم من لا ينفعه ولا يفيده شيئًا.

س (٦٣): كيف يكون الإيمان بالرسول ﷺ؟

ج: أن نؤمن بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله إلى العالمين الإنس والجن، وأنه خاتم المرسلين لا نبي بعده، أرسله الله بالحق بشيرًا ونذيرًا.

وأن نؤمن بكل ما جاء به، ونعتقد وجوب طاعته في كل ما أمر به ونهى عنه، ونحبه ونوقِّره وننصره، ونحكِّمه فيما شجر بيننا من نزاع وخلاف.

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(١).

س (٦٤): ما هو نسب الرسول ﷺ؟

ج: نسب الرسول ﷺ هو:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، صلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(٢).

وقال ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا وَخَيْرِهِمْ نَفْسًا»(٣).

وقال ﷺ: « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث حسن.

(٤) رواه مسلم.

س (٦٥): ما هو واجبنا نحو رسول الله ﷺ؟

ج: واجبنا نحو رسول الله ﷺ يتلخص فيما يلي:

١- أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا وأموالنا والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

٢- أن نقتدي به في جميع شئون حياتنا في العقائد والأقوال والأعمال والأخلاق والسلوك، ونتمسك بسنته، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

٣- أن نحذر مخالفته وتغيير سنته والتهاون في طاعته، قال الله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، فَقَالُوا: كَيْفَ

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ(١) أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ(٢) عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»(٣).

٤- أن نوقِّره وننصره وننصح له، قال الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(٤).

والنصيحة لرسول الله ﷺ تكون بالاجتهاد في طاعته، والمثابرة على تعلم سنته، وإحيائها والدعوة إليها، والتفقه في شريعته، وشدة محبته ومحبة آل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه، والشفقة على أمته، والتعرّف على أخلاقه وسيرته، وبذل المال والنفس في نصرة دينه والدفاع عن سنته وتبليغ دعوته.

س (٦٦): كيف يكون الإيمان بأسماء الله وصفاته؟

ج: يجب على المسلم أن يؤمن بما سمَّى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، نفيًا وإثباتًا؛ فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والأصول الصحيحة في الإيمان بأسماء الله وصفاته هي:

---

(١) غرّ محجّلة: الغُرُّ جمع الأغَرِّ من الغُرَّة وبياض الوجه. المُحَجَّلُ: الخيل التي في أرجلها بياض عند الحافر ولا يبلغ الركبتين. دُهْمٌ بُهْمٌ: الدُّهْمُ جمع أَدْهَمْ وهو الأسود، والبُهْمُ: الخالص الذي لا يخالط سواده لون آخر، أي أسودٌ خالص.

(٢) الفَرَطْ: هو الذي يتقدم القوم ويسبقهم ليرتاد لهم الماء ويُهيئ لهم الدِلاء.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

١- لا يسمى الله ولا يوصف بما فيه نقصٌ بوجه من الوجوه، فأسماء الله وصفاته كلها بالغة في الحسن والكمال والعلو، ليس فيها نقص بأي وجه من الوجوه، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

٢- تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن مشابهة المخلوقين، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- أسماء الله وصفاته توقيفية، المرجع فيها القرآن والسنة، فيجب الوقوف على ما جاء فيهما، فلا يزاد ولا ينقص.

٤- معاني أسماء الله وصفاته معلومة يستطيع أن يتعرف العبد عليها ويتعلمها، أما كيفيتها فلا يعلمها إلا الله، فالواجب علينا ألا نبحث عن كيفيتها، فلا نقول كيف يد الله؟ وكيف يستوي على عرشه عَزَّوَجَلَّ؟ بل نؤمن بها من غير تكييف ولا تحريف، قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

٥- أسماء الله كثيرة لا يحصيها إلا الله، وليست كلها معلومة للعباد، بل لله أسماء استأثر بعلمها غير ما وردت به النصوص، كما في الحديث: «...أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ..»(١).

وأما ما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢) [فليس معناه أنه ليس لله اسمٌ غير التسعة والتسعين، وإنما المراد أن هذه التسعة والتسعين تختص بفضيلة من بين سائر أسمائه تعالى، وهو أن إحصائها سببٌ

---

(١) رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وابن حبّان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، قال الهيثمي في المجمع: "رواه أحمد وأبو يعلي ورجال الحديث رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان"، والحديث صححه ابن القيم في شفاء العليل.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

لدخول الجنة][١].

س (٦٧): ما معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى؟

ج: الإلحاد في أسماء الله هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلله الأسماء الحسنى والصفات العلى لا شريك له فيها ولا سميَّ ولا مثيل، قال الله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥].

والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

النوع الأول: تسمية غير الله بأسماء الله الخاصة به وحده، وهذا كإلحاد المشركين الذين سمّوا بأسماء الله أصنامهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اسم العزَّى من العزيز، واشتقوا اسم اللّات من الله، ومنَاة من المنان، وسمّوا أصنامهم آلهة.

النوع الثاني: التكذيب بأسماء الله وصفاته وإنكار ما ثبت أنه من أسمائه تعالى وصفاته، كحال الكفار الذين قال الله عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠]، وفي صلح الحديبية لـمّا قال النبي ﷺ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ[٢].

النوع الثالث: تشبيه صفات الله عَزَّوَجَلَّ بصفات خلقه. قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

النوع الرابع: تسمية الله عَزَّوَجَلَّ ووصفُه بما لا يليق بعظمته وجلاله، وبما لم يَرِد في الكتاب والسنة، كقول اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلَق خلقه، وقولهم يد الله مغلولة، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

---

(١) سبل السلام للصنعاني.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

النوع الخامس: تعطيل أسماء الله عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول الجهمية ومن تبِعهم: إن أسماءه عَزَّوَجَلَّ ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فأثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى وعطّلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال لله تعالى، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي، ويقولون: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وحي بلا حياة.

س(٦٨): ما هو تعريف دار الكفر ودار الإسلام؟

ج: توصف الدار بأنها دار إسلامٍ أو دار كفرٍ حسب عُلو وغلبة الأحكام والسلطان.

فإن كانت الغلبة والسيادة لأحكام الإسلام وشريعة الرحمن فالدار دار إسلام، وإن كانت الغلبة والسيادة لأحكام الكفر وشريعة الشيطان فالدار دار كفر.

دار الإسلام هي الدار التي تكون فيها أحكام الإسلام هي الغالبة، وسلطان المسلمين هو النافذ، وكلمة الله هي العليا، وراية الإسلام هي المرتفعة.

ودار الكفر هي الدار التي تكون فيها الغلبة لأحكام الكفر، وتكون السيادة والسلطان فيها لغير المسلمين.

ولا خلاف بين المسلمين في أن البلاد التي يسكنها الكفار وتسودها أحكام الكفر هي دار كفر.

وكذلك لا خلاف في أن البلاد التي تخضع لحكم الإسلام ويحكمها المسلمون أنها دار إسلام سواءٌ أكان سكانها مسلمين أو كانوا كفارًا أهل ذِمَّة.

س (٦٩) : اذكر أمثلة لدار الإسلام ودار الكفر.

ج: المثال الأول: مكة بلد الله الحرام قبل الفتح وبعده.

كانت مكة دار كفرٍ لما كانت الغلبة والسيادة للكفار، ولم يكن للرسول ﷺ وأصحابه شوكة ولا مَنَعَة، بل كانوا مستضعفين مضطهدين، وهاجر منها رسول الله ﷺ ومن قدر على الهجرة من أصحابه، وبقي فيها مسلمون مستضعفون، واستمرت على هذا الحال دار كفرٍ حتى فتحها رسول الله ﷺ ونفَذ حكمه على أهلها، فصارت دار إسلام.

فَيَوْمَ كانت أحكام الكفر وسيادة الكفار غالبة عليها كانت بلد كفر، مع أن فيها رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، ولما تغلب عليها المسلمون ونفَذ حكم رسول الله ﷺ على أهلها وصارت السيادة للإسلام تحولت إلى دار إسلام.

المثال الثاني: يثرب (المدينة المنورة) قبل الهجرة وبعدها.

كانت يثرب دار كفرٍ يسكنها الأوس والخزرج من العرب وقبائل من اليهود، وقد بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليدعو أهلها للإسلام، ويعلِّم من أسلم منهم أمور دينه، فانتشر الإسلام في بيوت كثيرة من القبيلتين الأوس والخزرج حتى رأوا أنهم قادرون على حماية النبي ﷺ ونصرة دينه، فطلبوا منه الهجرة إليهم، ولم تصبح دار إسلام إلا بعد أن هاجر إليها النبي ﷺ ومن معه وظهر حكمه على من فيها بمختلف دياناتهم، فصارت بذلك دار إسلام.

المثال الثالث: دار خيبر قبل الفتح وبعده.

كانت خيبر دار كفرٍ يسكنها اليهود وتسودها أحكامهم، ولما فتحها رسول الله ﷺ وسيطر عليها المسلمون صَالَح أهلها فأبقاهم عليها يتعاهدونها ويصلحون ما فيها من زروع وأشجار على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر وشيء، فصارت تحت حكم المسلمين وتحولت إلى دار إسلام يسكنها اليهود خاضعين لحكم الإسلام.

س (٧٠): ما حكم الديار في هذا الزمن التي تظهر فيها بعض شعائر الإسلام وتسودها أحكام الكفر وتطبَّق فيها شرائع الكفار؟

ج: الديار اليوم كلها ديار كفرٍ وليس هناك دار إسلام يملكها المسلمون ويحكمها سلطان الإسلام؛ لأنك لو نظرتَ إلى غلبة الأحكام والسلطان لوجدت الغلبة والظهور لأحكام الكفر والسيادة والسلطان للكفار، ولو نظرتَ إلى أهلها وسكّانها لوجدتَ أنهم لا يدينون بالإسلام ولا يعرفونه، وليس لهم من الإسلام إلا مجرد الاسم، يزعمون أنهم مسلمون وهم يدينون لغير الله بالخضوع والاستسلام والولاء والاتّباع، والمسلمون اليوم قلة مستضعفة أكثرهم مستخفٍ بدينه يخشى بطش الكفار وسطوتهم لا شوكة لهم ولا منعة.

والخطأ الحادث اليوم من كثير من الناس العلماء والجهّال في الحكم على هذه الديار بأنها دار إسلام بسبب الخطأ في تعريف الإسلام والمسلم وتعريف الكفر والكافر، وهذا كفرٌ لم يعرف صاحبه الإسلام، فالذين يعتبرون ظهور الشعائر والمساجد دلالة على أن الدار دار إسلام، ويعتبرون الناس مسلمين، ويتغافلون عن الكفر الظاهر أصالة دون عقد ذمة ولا أمان، هؤلاء لا يفرقون بين الإسلام والكفر ولا بين المسلم والكافر؛ لأنهم لا يعرفون حقيقة دين الإسلام.

س (٧١): ما هي الجاهلية؟ ومتى تكون؟ وهل يصح أن نطلق على الناس اليوم بأنهم في جاهلية؟

ج: الجاهلية نسبة للجاهل وهو الذي لا يعلم، والمراد الجهل بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ وتعاليم دينه الحنيف.

فمتى جهل الناس حقيقة الإسلام فهُم في جاهلية وإن ظنوا أنهم على حق.

فقوم نوح مثلًا لـمّا فشا فيهم الجهل بالتوحيد ولجئوا إلى عبادة غير الله صاروا في جاهلية بعد أن كان آباؤهم وأجدادهم على الإسلام.

والعرب قبل الإسلام كانوا في جاهلية لا يعرفون حقيقة التوحيد، بل يدينون بالشرك ويظنون أنه يقربهم إلى الله زلفى ويزعمون أنهم على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وشركهم كان في الاعتقاد بألوهية غير الله، وفي التوجه بالعبادة لغير الله، وقبول التشريع من دون الله.

قال الله في حقهم: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ١٤٠ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والجاهلية الأولى هي ما كان عليه الناس قبل بعثة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كذلك اليهود أتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والنصارى أتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما تركوا تمسكهم بما كان عليه أنبياؤهم، وحرّفوا كتاب ربهم، ونسوا عهد نبيهم، وأطاعوا أحبارهم ورهبانهم في تغيير شريعة الله، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، صاروا في جاهلية.

قال الله عنهم: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

والجاهلية ليست خاصة بقوم معينين، ولا بفترة معينة من الزمان مضتْ وانقضتْ، ولكنها تتكرر وتعود كلما انحرف الناس عن الإسلام وتركوا أصله العظيم كما انحرف عنه الذين من قبلهم.

فمتى ظهر تأليه غير الله في صورة من الصور وكان هذا هو الظاهر على الناس والغالب عليهم فهي حقيقة الجاهلية.

وليس الجاهلية محصورة في أن يعود الناس إلى تأليه الأصنام من دون الله كما كانت الجاهلية الأولى، فليست عبادة الأصنام وحدها هي الشرك، بل عبادة القبور أيضًا جاهلية وشرك، واتِّباع غير شريعة الله في مجال من مجالات الحياة أيضًا جاهلية وشرك، والولاء والبراء على أساس غير الإسلام جاهلية وشرك.

ومن هنا يمكن أن نقول أن غالب الناس اليوم يعيشون في جاهلية، ليست جاهلية أخلاق فحسب، ولكن جاهليةٌ تناقض الإسلام من أساسه ولا تلتقي معه في شيء، لم ينجُ من هذه الجاهلية إلا القلة القليلة التي عرفتْ من الإسلام ما جهله أكثر الناس، وتمسكت بأصله الذي يتميز به عما سواه من الضلالات والجهالات.

قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»[(١)].

س (٧٢): كيف يتعامل المسلم مع شبهات المشركين؟

ج: لا بد للمسلم أن يتسلح بسلاح العلم ويكون على بصيرة وبيّنة من أمره، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدّون بها الناس عنه، فالخوف على من يسير في الطريق من غير سلاح، وعلى المسلم أن يتزود من التقوى ويجتهد في دعاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبته على الحق وأن يجيره من مضِلّات الفتن، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ،

(١) رواه مسلم.

فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»(١).

وقد بيّن الله في كتابه كثيرًا من شبهات المشركين ليكون المسلم على بيّنة منها، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [الأنعام: ٥٥]، وقال: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٣٣].

ولا يُشترط أن يعرف المسلم الرد المفصل على كل شبهات المشركين، لكن عليه أن يتمسك بالأصول الثابتة المحكمة التي عليها يقوم الإسلام، ويحرص أن لا تُدْخِل عليه الشبهات الشكوك في دينه.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(٢).

ومن وفقه الله عَزَّوَجَلَّ لمعرفة شبهات أهل الباطل والرد عليها فهذا أفضل، وهو من أعظم الجهاد عند الله، والمؤمن القوي في دينه من حيث العلم والعمل خير من المؤمن الضعيف.

ومعرفة الدليل على بطلان عقيدة المخالف والقدرة على الرد على الشبهات هو السلاح في الدعوة الذي يجب أن يمتلكه الداعية وإلا فلا يمكنه أن يقيم الحجة على المشركين.

س (٧٣): هل الجهل بالتوحيد مانعٌ من الكفر؟

ج: التوحيد هو أصل الإسلام وأساسه، إذا غاب التوحيد غاب الإسلام، ومن لا يعرف التوحيد لا يعرف الإسلام، والتوحيد هو الذي يفرّق بين المسلم والمشرك، فليس مسلمًا من عبد الله وعبد معه غيره سواءٌ كان جاهلًا أو عالمًا، ولا يكون مثل هذا مسلمًا إلا إذا عرف التوحيد وعمل به

(١) رواه مسلم. فاستهدوني: أي اطلبوا مني الهداية.

(٢) رواه البخاري.

وترك عبادته لغير الله وكفر بما يُعبد من دونه. وهذا الأمر في غاية الوضوح لمن عرف الإسلام.

فمن كان يقول لا إله إلا الله ويزعم أنه مسلم وهو يعبد غير الله جهلًا منه بحقيقة التوحيد وما يناقضه فهو مشرك؛ لأن المسلم لا يجهل التوحيد ولا يعبد إلا الله ويكفر بما يُعبد من دونه، وهذا الجاهل يعبد الله ويعبد غيره، فالشرك هو الوصف المنطبق عليه المناسب له، وأما تلفظه بكلمة التوحيد فلا اعتبار له؛ لأنه يقولها وهو غير مؤمن بها، والتوحيد لا يتحقق بمجرد النطق بحروف كلمة التوحيد، بل لا بد من الإيمان بها اعتقادًا وقولًا وعملًا، وذلك لا يتحقق إلا بالمعرفة الصحيحة لما دلت عليه كلمة التوحيد، ونفي ما نفته وإثبات ما أثبتته.

ولا يصح عقلًا ولا شرعًا أن نحكم بإسلام من يعبد غير الله سواءٌ كان عن جهل أو عن علم، ولا يمنع الجهل بالتوحيد من تكفير من وقع في الشرك، فالجهل بالتوحيد جهل بالإسلام، ومن لم يعرف الإسلام لا يكون على الإسلام وإن ظن أنه عليه.

وعبادة غير الله هي الشرك، والشرك نقيض التوحيد ولا يمكن أن يجتمعا أبدًا، لا يجتمعان في دين واحد أبدًا، ولا يجتمعان في شخص واحدٍ أبدًا، فالشرك دين والإسلام دين آخر يناقضه تمامًا، الشرك دين المشركين، والإسلام دين رب العالمين أساسه البراءة من الشرك والمشركين.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون].

س (٧٤): هل يمكن لمن يجهل التوحيد وما يناقضه أن يكون من الموحدين؟

ج: عرفنا أنه لا بد من الإيمان بـ(لا إله إلا الله) ليكون قائلها من الموحدين، وأنه لا يكفي مجرد قولها باللسان، والإيمان بها يعني نفي ما نفته وإثبات ما أثبتته بالاعتقاد والقول والعمل، وهذا كله لا

يتحقق إلا بالمعرفة الصحيحة لمعناها، فمن لا يعرف ما ينفي وما يثبت بقول لا إله إلا الله كيف يوحد الله؟!

فجاهل التوحيد لا يمكن أن يكون معتقدًا له، فالاعتقاد فرع عن العلم و هو مبني و مترتّب عليه، ولا يمكن لجاهل التوحيد أن يكون عاملًا به لأنه لا يميز بينه وبين الشرك، فالعلم أساس الاعتقاد والعمل، فكيف يكون الجاهل بالتوحيد موحدًا وهو لا يعتقد صحة التوحيد وبطلان الشرك، ولا يعمل بالتوحيد ويبرأ من الشرك.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فقوله ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إلا من أقرّ بتوحيد الله وهم يعلمون حقيقة ما شَهِدَتْ به ألسنتهم(١).

فالشاهد لا بد أن يكون عالمًا بما شَهِدَ به وإلا كان كاذبًا، ولهذا كان العلم أول شروط كلمة التوحيد، ولا تصح الشهادة بدونه، ولا يتحقق ما سواه من الشروط إلا به.

فالعلم أساس الاعتقاد والقول والعمل، ولهذا فإن الجهل بالتوحيد يعني عدم التوحيد.

س (٧٥): ما هو الرد الصحيح على من زعم أن الذي يقول لا إلٰه إلا الله وهو يجهل معناها ولا يعمل بها مسلم؟

ج: الرد الصحيح على هذا الزعم الباطل بأن تقول له ما الذي جعلك تحكم بإسلام هذا المشرك الجاهل وأنت تُقِرُّ بأنه لا يعرف التوحيد وأنه يعبد غير الله، فما دام لا يعرف التوحيد ولا يعمل به فهذا يعني أنه ليس موحِّدًا، فكيف حكمت عليه بأنه مسلم موحد؟ أم هو عندك مسلم مشرك؟!

فإن قال حكمت عليه بالإسلام لأنه يقول لا إله إلا الله وينتسب للإسلام والمسلمين.

تقول له: أما قوله (لا إله إلا الله) فهو يقولها ولا يعرف معناها ولا يعتقده ولا يعمل به بل يعمل بما يناقضها، فكيف تعتبر قوله لها دلالة على إسلامه مع أنه لا يؤمن بها لا اعتقادًا ولا قولًا ولا عملًا، بل يناقضها باعتقاده وقوله وعمله؟

---

(١) انظر تفسير الطبري، والبغوي، والقرطبي.

فهل التوحيد عندك مجرد اللفظ؟ أم لا بد من الإيمان به بالاعتقاد والقول والعمل؟

وأما انتسابه للإسلام وانتمائه للمسلمين فهذا لا ينفعه شيئًا إذا لم يُسلم لله بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله، فهو يزعم أنه على الإسلام ولا يعرف ما هو أصل الإسلام الذي يميِّز المسلم عن الكافر، فهو لم يدخل الإسلام بعد؛ لأنه لم يحقق الأصل الذي يكون المرء به مسلمًا، ويزعم أنه من المسلمين وهو يخالفهم في الدين؛ لأن المسلمين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئًا وهو يعبد غير الله ويشرك به.

والذي يجعل الإنسان على دين الأنبياء هو اتِّباعهم على دينهم والاستجابة لدعوتهم وليس مجرد الانتساب إليهم.

قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، أي فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفِرَاقُ عبادة الأوثان، فإنه معي على ديني وأهل ملتي[(١)].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

س (٧٦): ما هو الرد الصحيح على من يحتج بآية من كتاب الله أو حديث عن النبي ﷺ ليثبت به إسلام من قال لا إله إلا الله وإن لم يعرف معناها ويعمل بها؟

ج: لا يمكن أن يوجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يجعل المشرك مسلمًا لمجرد قوله لا إله إلا الله وانتسابه للإسلام؛ لأن الرسول ﷺ جاء أولًا بالأصل الذي يتحقق به الإسلام وهو التوحيد، أن يُعبد الله وحده ويُكفر بما دونه، فكان هذا هو الأساس والمدخل لدين الله، به يتحدد المسلم من الكافر، وبناءًا على هذا الأساس فإن كل من لم يوحِّد الله فهو خارج الإسلام، ليس على دين الرسول ﷺ، فلو أن الرسول ﷺ بعد أن دعا الناس إلى الإسلام على هذا الأساس جاء بما

(١) انظر تفسير الطبري، وأبي الليث، والبغوي.

يدل دلالة واضحة على أن الإسلام يتحقق بمجرد قول لا إله إلا الله وإن لم يترك الإنسان الشرك وتأليه غير الله لكان هذا نقضًا للأساس الأول الذي جعل تحقيقه شرطًا لدخول الإسلام، وهذا يعني أن أصل الدين والقاعدة التي بني عليها قد تغيَّرا، ففي البداية لا يُقبل الإسلام إلا ممن وحَّد الله وترك الشرك وتبرأ من أهله، ثم تغير الأمر وصار يُقبل الإسلام ممن لم يوحد الله ويترك الشرك لمجرد قوله لا إله إلا الله، وهذا يستحيل أن يكون في دين الله، فأصل الدين في جميع الرسالات واحد لا يتغير، فكيف يتغير في الرسالة الواحدة؟!

ومن المعلوم أن الأساس يسبق البناء، فالشريعة في دين الإسلام بُنيت على هذا الأساس الذي سبقها والذي بُني عليه الدين كله وكان هو المدخل لدين الله، فهل يُعقل أن تأتي الشريعة بما يناقض الأساس الذي بنيت عليه؟ هذا يستحيل، لا يمكن أن تأتي الشريعة بما يخالف الأصل الذي بُنيت عليه.

ولهذا نقول أنه يستحيل أن نجد في كتاب الله وسنة رسوله دليلًا واحدًا يجعل المشرك الذي يعبد الله ويعبد غيره موحدًا لمجرد قوله لا إله إلا الله وانتسابه للإسلام.

وكل ما يحتج به المشركون ليجعلوا من يقول لا إله إلا الله مسلمًا مع جهله التوحيد وشركه بالله لا يدل على ذلك، وله محمل آخر غير ما ذهبوا إليه.

س (٧٧): فما هو الوجه الصحيح الذي يجب أن تُحمل عليه الآيات والأحاديث التي يظهر منها لجاهلي الإسلام أن من يقول لا إله إلا الله فهو مسلم وإن كان جاهلًا لمعناها الحق غير عامل بما تدل عليه؟

ج: هذه الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ التي ظن كثير من الناس اليوم بها فيهم العلماء والشيوخ أنها دليلٌ على إسلام كل من قال لا إله إلا الله وإن لم يعرف معناها ويعتقده ويعمل به ولو عمِل ظاهرًا بما يناقضها، هذه الأحاديث يجب أن نفهمها بما لا يعارض أصل الدين الذي هو حقيقة دعوة رسول الله ﷺ، لأنه كما قلنا يستحيل أن تأتي الشريعة بما يعارض الأصل الذي بُنيتْ عليه، لأن هذا الأصل حاكم على ما سواه، فالمفروض أن كل ما يعارض هذا الأصل فهو مردود باطل، فما جعله الله أصلًا لدينه هو الذي يجب تحكيمه في كل ما سواه، ولو أطلقنا العنان لأفهامنا دون التقيد

بالأصل الحاكم لكانت النتيجة أن نهدم الأصل بالفرع، وهذا ما حدث للناس اليوم الذين يجهلون الأصل الذي يبنى عليه الإسلام.

فهم يستدلون بمثل قوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»(٢).

وحديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلِه الرجل الذي قال لا إله إلا الله، وفيه: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟!» قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!» فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ(٣).

يستدلون بمثل هذه الأحاديث وغيرها على أن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم لا يجوز تكفيره وإن كان مشركًا جاهلًا لمعناها الحق.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري. وقوله: «فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ». الذمة: العهد، وهو إشارة إلى ما عهده الله ورسوله إلى المسلمين بالكف عن دم المسلم وماله.

وقوله: «فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»، أي: لا تغدروا بمن له عهد من الله ورسوله.

قال بن بطال في شرحه للحديث: [قال الطبري: وحديث هذا الباب إنما قاله عَلَيْهِ السَّلَامُ في حال قتاله لأهل الأوثان الذين كانوا لا يقرون بتوحيد الله، وكانوا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإقرار بالوحدانية وخلع ما دونه من الأوثان، فمن أقرّ بذلك منهم كان في الظاهر داخلًا في صبغة الإسلام، وقاتل آخرين من أهل الكفر كانوا يوحدون الله غير أنهم كانوا ينكرون نبوة محمد ﷺ، فقال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، وذلك أن كفرهم كان جحدًا بالنبوة، فمن أقر بها عليه قُوتل، فقد حرم دمه وماله إلا بظهور نقض شرائط ما أقرَّ به بعد الإقرار بجملته، وذلك هو الحق الذي قال ﷺ: «إِلَّا بِحَقِّهَا»، ولو أن أهل الأوثان وَحَّدَ بعضهم وشهد أن لا إله إلا الله، وحكم له بحكم الإسلام في منع نفسه وماله، ثم عرضت عليه شرائع الإسلام بعد ذلك، فامتنع من الإقرار برسول الله كان لا شك بالله كافرًا، وعاد حربيًا، وكذلك الذي أقر بنبوة محمد لو أنكر شيئًا من الفرائض حلّ دمه وعاد حربيًا كافرًا] ا.هـ.

(٣) رواه مسلم.

والصواب أن الحكم بإسلام المشرك الجاهل لمجرد قوله لا إله إلا الله يناقض أصل الإسلام، ولا يصح أن نفهم قول رسول الله ﷺ على ما يناقض الأصل، بل يجب علينا أن نحمله على ما يوافق الأصل، فهذه النصوص - وأمثالها كثير - يجب أن تُفهم على ضوء المبادئ الكلُيّة التي عليها مدار الإسلام، وعلى ضوء بعضها البعض، فنصوص الكتاب والسنة تفسر بعضها البعض، فإذا فهمناها على ما يوافق الأصل وجمعنا بينها وبين باقي النصوص علمنا أنه ليس المراد منها قولها دون فهم وعمل، بل المراد قولها عن علم واعتقاد وعمل وعدم مناقضتها.

فقوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّـةَ»[١]، لا يعارض قوله ﷺ: « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ »[٢]، بل يفسره ويزيده وضوحًا.

وأيضًا قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَـالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَـصَمُوا مِـنِّى دِمَـاءَهُمْ وَأَمْـوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَـا، وَحِـسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[٣]، لا يعارض قوله في الحديث الآخر: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُـهُ وَحِـسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[٤]، بل يفسره ويزيده وضوحًا.

س (٧٨): هل الإكراه مانعٌ من الكفر؟

ج: الإكراه هو: هو إجبار الغير وإلزامه على عمل أو قول لا يريده ولا يرضاه.

فالإكراه حالة ينعدم معها رضا الإنسان بالشيء ويفسد اختياره له.

وقد أذن الله عَزَّوَجَلَّ لمن أُكرِه على الكفر أن يفعل ما أُكره عليه، ولا إثم عليه في ذلك إن قال أو فعل الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟» قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ، قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»(١).

والإكراه الذي يجيز لصاحبه الكفر هو ما لا يبقى معه حرية الاختيار أو فرصة الهرب والنجاة، كأن يكون المسلم في قبضة الكفار يعذبونه ولا سبيل للنجاة منهم إلا أن يُظهر لهم الكفر، فيجوز أن يقول أو يفعل الكفر لكي يتخلص من القتل أو التعذيب أو السجن.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيُجِيعُونَهُ وَيُعَطِّشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ الذي بِهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ(٢).

س (٧٩): ما هو الفرق بين المرتد والكافر الأصلي؟

ج: المرتد هو من كفر من بعد إسلامه، فالردة هي الرجوع عن الإسلام، فمن دخل في الإسلام ثم صدر منه ما ينقض إسلامه من قول أو فعل أو اعتقاد أو شك فقد خرج عن الإسلام ورجع إلى الكفر وصار مرتدًا.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) رواه البيهقي السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك، وقال عنه: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، وابن إسحاق في السيرة.

وفي السنة المطهرة جاء وصف المرتد بأنه التارك لدينه أو المبدِّل لدينه (أي الراجع عن الإسلام للكفر).

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، **وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ** الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[1].

وقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[2].

وأما الكافر الأصلي: فهو الذي لم يدخل الإسلام، كحال هذه الأمة فقد ورثت الكفر عن آبائها ولم تعرف الإسلام، كما ورث النصارى الكفر عن آبائهم وقد كانوا في بداية أمرهم على دين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم ارتدوا عنه، ثم توارثوا الكفر، فصاروا كفارا أصليين.

وجاهل التوحيد لا يكون إلا كافرًا أصليًا لأن التوحيد هو المدخل للإسلام فمن جهل التوحيد فقد جهل كيف يكون مسلمًا، فهو لم يدخل الإسلام بعد، وإن كان يقول بلسانه لا إله إلا الله ويزعم أنه مسلم.

س (٨٠): ما هي العلمانية؟

ج: العلمانية هي نظام جاهلي يقوم أساسًا على الفصل بين دين الله وشريعته وبين نظام الحكم في الدولة والحياة العامة للمجتمع وعلاقته بغيره من المجتمعات الخارجية.

ولها ثلاثة أركان أساسية:

١- إقامة الدولة وتنظيم حياة الناس على أساس الاستسلام والاتّباع لغير شريعة الله، والاحتكام للقانون والتشريع الوضعي والأعراف الدولية، ورفض تدخل الإسلام في الحكم والحياة العامة للمجتمع.

٢- فصل العلم والفكر والثقافة، والأخلاق والسلوك والمعاملات، عن الدين والالتزام بأحكام الشريعة.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

٣- الاهتمام بالدنيا وإهمال الآخرة، واتّباع الهوى وإطلاق العنان للشهوات والملذات دون تقيد بالحدود والضوابط التي شرعها الله لعباده.

ولعل أبرز معالم العلمانية: هو فصل الدين عن الدولة، أو إقامة الحياة على غير الأصل الذي قام عليه الإسلام (وهو الانقياد والتسليم لله وحده واتّباع شرعه ورفض ما سواه) سواء بالنسبة للأمة أو الفرد، فهي ترفض أن يكون لدين الله تأثيرٌ في شئون الحياة العامة، وتستنكر أن يكون حكم الله هو المهيمن على ما سواه، وأن تكون سيادته فوق الجميع، وتكون شريعته هي المنظِّمة لحياة الناس.

فالعلمانية منهج لتنظيم حياة الفرد وعلاقته بالآخرين والحياة العامة للمجتمع في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيدًا عن شرع الله الحكيم ودينه القيِّم، فهي تسعى لإبعاد الناس عن دين الله، وتقلِّل من الاهتمام بالآخرة وطلب مرضاة الله في كل قول وعمل، وترغّب في المنافسة في الدنيا والتمتع بشهواتها وملذاتها من غير مراعاة لحدود الله وحلاله وحرامه.

س (٨١): ما هو موقف المسلم من العلمانية؟

ج: العلمانية صورة من الجاهلية التي تقوم على الشرك بالله في ربوبيته وألوهيته، فهي لا تدين بتوحيد الله في الحكم والتشريع، ولا في الاحتكام والطاعة والاتّباع، بل إن من مبادئها الأساسية إنكار حق الله في السيادة والحكم والتشريع المطلق، وإعطاء هذا الحق لغير الله في أغلب مجالات الحياة، وقد فصلت دين الله وشريعته عن الحياة العامة للمجتمع وأبعدته عن الحكم والسياسة، وجعلت بديلًا عنه ما أوْحَتْه شياطين الإنس والجن، وما شرَعه الأرباب والشركاء من دون الله، وأعطت السيادة المطلقة للشعب، هو الذي يقرر الدستور والقانون الذي يحكمه، والشرائع التي تناسبه، فما يحله هو الحلال وإن كان في دين الله حرامًا، وما يحرمه هو الحرام وإن كان في دين الله حلالًا، وهذه مناقضةٌ صريحةٌ لتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته، ورفضٌ للإسلام من أساسه، وهدمٌ لأصله وفرعه.

ولهذا فإن موقف المسلم منها موقفه من الطاغوت ومن الجاهلية في جميع صورها، فهو يكفر بها وينكرها ويبغضها ويجتنبها اعتقادًا وقولًا وعملًا، ويبرأ من أتباعها والداعين إليها والمدافعين عنها ومِن كل من لم يكفر بها، ويبغضهم ويعاديهم.

س (٨٢) : ما معنى الديمقراطية؟

ج: الديمقراطية تعني حكم الشعب أو سلطة الشعب، أو سيادة الشعب.

فهي تقوم على أساس سيادة الشعب، والسيادة هي تلك السلطة العليا المطلقة التي تملك حق التشريع والتي لا تعرف بجانبها أو فوقها سلطة عليا أخرى، فهي سلطة تسمو فوق الجميع وتفرض نفسها على الجميع بما تملك من سلطة الأمر والنهي العليا.

فالديمقراطية هي ذلك النظام من أنظمة الحكم الذي تكون فيه سلطة إصدار القوانين والتشريعات من حق الشعب أو الأمة أو جمهور الناس.

وفي الديمقراطية يأخذ الشعب أو نوابه وصف الطاغوت ويحمل حقيقته، فهو الحَكَم المطلق الذي يُرجع إليه في مسألة اتّباع شرع الله أو شرع غيره، مع الإلتزام المسبق بحكمه أيًّا كان، فهو الذي يُحِقُّ ويُبْطِل.

س (٨٣): هل الديمقراطية وسيلة مشروعة للوصول إلى الحكم؟

ج: الديمقراطية نظام طاغوتي جاهلي نقيض الإسلام، لا يمكن الجمع بينها وبين الإسلام أبدًا؛ لأن الإسلام يقوم أساسًا على الكفر بمثل هذه الأنظمة التي تجعل الربوبية والألوهية لغير الله.

وتحكيم شريعة الله عن طريق الديمقراطية لا يكون إلا بعد عرض شرع الله على الاستفتاء ووضعه في ميزان الانتخاب بينه وبين الشرائع الجاهلية وهذا هو الكفر بعينه، سواء قَبِل الشعب كلهم تحكيم الشريعة أو رفضوها، فمجرد الاستفتاء على الشرع كفرٌ لا يقبله مسلم يعرف ماذا يعني كونه عبدًا لله.

فلا يمكن أبدًا أن تكون الديمقراطية وسيلة مشروعة للوصول لتحكيم شريعة الله وحده، فمتى كان الكفر وسيلة مشروعة من وسائل إقامة الدين إلا عند الذين لا يفهمون الإسلام

ويزعمون أنه متى كانت الغاية حميدة فلا يُنظر إلى الوسيلة لتحقيقها، فيبيحون الكفر وما دونه ويجعلونه من باب الوسائل التي تبررها الغايات الحميدة (كما يحلو لهم).

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

س (٨٤): ما هو الفرق بين الشورى والديمقراطية؟

ج: الفرق بين الشورى والديمقراطية فرق كبير جدًا كالفرق بين الإسلام والكفر.

فالشورى جزء من الإسلام القائم على الإيمان بأن السيادة للشرع المنزل من عند الله العليم الخبير وأن العبودية كلها لله وحده بقبول شرعه ورفض ما خالفه.

أما الديمقراطية فتقوم على أساس السيادة للشعب والتشريع لطائفة من البشر منتخَبين من قبل الشعب.

والشورى من شرع الله ودينه القويم، أمر بها نبيه، في قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وجعلها من صفات أوليائه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨]، فالعمل بها كما شرعها الله طاعة لله.

أما الديمقراطية فليست من شرع الله بل هي من شرع غيره، وهي نظام جاهلي يقوم على الشرك بالله في ربوبيته وألوهيته، ومجرد الاعتراف بها إيمان بالطاغوت وكفر بالله.

والشورى إنما تكون في الأمور المباحة التي ليس فيها نص من الكتاب أو السنة أو في آلية وكيفية التطبيق لحكم الله ورسوله، ولا يشاور إلا المسلم الذي لا يتقدم برأيٍ ولا قولٍ على قول الله ورسوله، ولا يصح أبدًا التشاور في قبول أو رفض حكمٍ من أحكام الله ورسوله، أو التشاور في تشريع ما لم يأذن به الله فهذا كفرٌ بالله.

قَالَ البُخَارِيُّ: وَكَانَتْ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ[1].

وأما الديمقراطية فهي تحتكم لرأي الأغلبية من الشعب فيما يخالف صراحةً كتاب الله وسنة رسوله، وتعرض شرع الله على الاستفتاء كما تعرض الآراء والمقترحات والتشريعات البشرية، وما يختاره الأغلبية هو الحكم الملزم الصادر عمن يملك السيادة العليا، وسواءٌ اختار الشعب حكم الله أو رفَضَه سيّان في ميزان الديمقراطية، مع أن قبول الاستفتاء على حكم الله كفرٌ ابتداء.

س (٨٥): ما حكم المشاركة في الانتخابات الديمقراطية؟

ج: الانتخابات جزء من العملية الديمقراطية، وهي تحقيق للمبدأ الذي تقوم عليه الديمقراطية وهو أن الحق في الحكم والسيادة المطلقة للشعب، وللشعب أن يختار من ينوب عنه في مزاولة السلطة ويتم ذلك عن طريق الانتخابات، فالاشتراك في الانتخابات الديمقراطية إيمانٌ بالديمقراطية وتحقيقٌ عملي للمبدأ الذي قامت عليه، والاعتراف بالديمقراطية والاحتكام إليها والمشاركة فيها كل هذا إيمان بالطاغوت وكفر بالله العظيم.

والمنتخِبون في الانتخابات الديمقراطية يختارون من ينوب عنهم في مزاولة الحق الذي منحته لهم الديمقراطية، فيختارون أولًا من ينوب عنهم في مزاولة حق التشريع المطلق، فيضع لهم القوانين والمبادئ والأحكام التي تحكمهم، ثم يختارون من ينوب عنهم في الحكم وتدبير شئون البلاد حسب ما نص عليه الدستور.

والذين يزعمون أنهم يشاركون في الانتخابات ليختاروا من يحكمهم بحكم الله، ولكي لا يتركوا المجال مفتوحًا للذين لا يريدون حكم الله، هؤلاء واهمون ويعيشون في خيال، فكيف يزعمون أنهم يريدون الوصول لتحكيم شريعة الله عن طريق الديمقراطية التي تقوم على عدم الاعتراف بأن الحكم لله وحده؟!!

هؤلاء الذي يسلكون هذا الطريق يعتقدون أنه لا حرج في الرجوع للشعب وحكم الأغلبية في

---

(١) صحيح البخاري.

مسألة تحكيم شريعة الله، وهذا كفرٌ ابتداءًا، فتحكيم شريعة الله وحده ورفض ما خالفها هو مقتضى وحقيقة الاعتراف بوحدانية الله، ولكن القوم لا يعرفون التوحيد ولا يؤمنون به فكيف يزعمون أنهم سيحكِّمون شريعة الله؟!!

س (٨٦): ما هو الدستور؟

ج: الدستور هو القانون الأساسي والحاكم في الدولة، وهو مجموعة القواعد والأحكام التي تحكم شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، وسلطاتها (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية)، وطريقة توزيع السلطات، وبيان اختصاصاتها، ومدى ارتباطها ببعضها، وكذلك بيان حقوق المواطنين وواجباتهم تجاه الدولة وسلطاتها العامة.

والذين يضعون الدستور مجموعة من المشرِّعين انتخبهم الشعب لهذه الوظيفة وهم أصحاب السلطة التأسيسية (المؤتمر الوطني أو الجمعية التأسيسية أو غيرها)، وهؤلاء المشرّعون غير ملزَمين بالرجوع إلى مصدر معين في وضع الدستور بل لهم السلطة المطلقة في ذلك.

ويتم اعتماد الدستور بعد عرضه على الإستفتاء، فإذا فاز بحكم الأغلبية صار المرجعية الوحيدة الحاكمة على ما سواها، وأصبح هو الشرع الحاكم والمتّبع والمقدس في البلاد، ولا يجوز لأي تشريع آخر أن يخالفه، وكل ما خالفه فهو غير شرعي.

وعادة ما ينص الدستور على مثل هذه المبادئ الأساسية فيه:

❋ أن السيادة للشعب وهو مصدر السلطة.

❋ أن الشريعة الاسلامية ليست هي المصدر الوحيد للتشريع.

❋ أن نظام الحكم ديمقراطي برلماني.

❋ أن السيادة للقانون الوضعي لا للشرع الإلهي.

❋ إلغاء الفوارق على أساس الإسلام، والمساواة في الحقوق والواجبات على أساس المواطنة.

❋ الإقرار بالحريات العامة كحرية الاعتقاد والرأي والتعبير والحرية الشخصية في حدود القانون الوضعي لا في حدود شرع الله.

❋ حرية إنشاء أحزاب علمانية باسم التعددية الحزبية.

* إعطاء رئيس ونواب المجلس التشريعي الحق في التشريع وسن القوانين خارج إطار شرع الله.

وغير ذلك من الإفك المبين والضلال البعيد والكفر بالله ودينه.

س (٨٧): ما حكم المشاركة في تشريع الدستور وغيره من القوانين؟

ج: ليس لأحدٍ من الخلق أن يشرِّع حكمًا واحدًا دون الرجوع إلى شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، فالتشريع المطلق لا يكون إلا لله وحده، فهو الخالق وحده والمالك وحده والرازق وحده، له الخلق والأمر والحكم والسيادة والسلطان، ولا يشرك في حكمه أحدًا.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والمهام التي يحددها الدستور يجب على الخلق كلهم الرجوع فيها إلى حكم الله وحده، وهذا ما تفتقده جميع الدساتير الوضعية من غير استثناء، فالذين يضعون الدستور لا يُراعون أن يكون موافقًا لشرع الله، بل يشرّعون ما لم يأذن به الله متبرئين من شرع الله مخالفين له خارجين عنه رافضين الاحتكام إليه، والحق أن هؤلاء المشرعين ما اختارهم الناس إلا ليكونوا شركاء وأربابًا لهم من دون الله، وقد رضوا بذلك قولًا وعملًا، فتمثل فيهم وصف الطاغوت وحقيقته.

س (٨٨): ما حكم المشاركة في الاستفتاء على الدستور؟

ج: مرحلة الانتخاب لوضع الدستور، ومرحلة تشريع الدستور، ومرحلة الاستفتاء عليه، كل هذا من دين الديمقراطية القائم على أن الحكم والسيادة المطلقة للشعب لا لله وحده، والمشاركة في أي مرحلة من مراحل العملية الديمقراطية يُعدُّ إيمانًا بالديمقراطية، والإيمان بها إيمان بالطاغوت وكفر بالله ودينه ورسوله.

فمن زعم أنه يشارك في الانتخابات ليعطي صوته لمن يحكُم بالشريعة، ومن زعم أنه يترشح للانتخاب ليصل إلى الحكم فيحكم بالشريعة، ومن زعم أنه يشارك في تشريع الدستور ليعتمد الحكم بالشريعة، ومن زعم أنه يشارك في الاستفتاء على الدستور ليختار الحكم بالشريعة ويرفض الحكم بغيرها، كل هذا اعترافٌ مبدئيٌ بالديمقراطية ومساهمةٌ عملية في تطبيقها وتأييدها، ولا يمكن لهؤلاء أن يكونوا مسلمين ولو وصلوا فعلًا لتحكيم الشريعة، وذلك لسببين:

أولهما: لأنهم لم يكفروا بالطاغوت الذي تُعتبر الديمقراطية أحد أكبر صوره حيث أنها تقوم على تأليه غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولا إسلام لمن لم يكفر بالطاغوت.

ثانيهما: لأن تحكيم الشريعة بعد إدخالها في العملية الديمقراطية للتصويت عليها ليس استسلامًا لله وإنما هو استسلامٌ لحكم الأغلبية من الشعب، وتحكيمٌ للشعب من دون الله، وإعطاء السيادة له من دون الله، ولا يصح أن يُعبد الله بتطبيق بعض شريعته عن طريق الكفر به.

وكل هذا نتيجة الجهل بحقيقة الإسلام، والله المستعان.

وعملية الاستفتاء على الدستور هي احتكامٌ للشعب على أنه صاحب الحق في الحكم والسيادة، فمن شارك في عملية الاستفتاء فقد قبِل أن يُحتكم إلى رأيه ويكون حكَمًا من دون الله.

ثم إن الدستور إن كان من تشريع غير الله فهو كفر بالله، وهم يعرضون هذا الكفر على الناس، فإن اختاره الأغلبية صار هو الحق الذي لا يجوز مخالفته، فالحكَم في تجويز الكفر أو منعه هو رأي المستَفْتَى.

كذلك لو فرضنا أن الدستور كله مستمد من شريعة الله فعرضه على الاستفتاء كفر بالله ما بعده كفر؛ لأنه احتكام لمخلوق في قبول حكم الخالق أو ردِّه، فشريعة الله في نظرهم لا تأخذ الصبغة القانونية ولا تصير ملزِمة إلا بعد أن يوافق على تحكيمها الأغلبية من الشعب.

فهل بعد هذا كفر؟!!

من رضي أن يستشار في العمل بحكم الله أو بغيره وإن وافق على حكم الله لا يكون مسلمًا؛ لأنه جعل رأيه مهيمنًا على حكم الله بالقبول أو الترك.

فكيف يقبل مسلمٌ أن يُحتكم إليه في تحكيم شرع الله أو رفضه؟!!

كيف يشعر مسلمٌ أنه مخيَّر في قبول شرع الله أو رفضه؟!!

إنه لا معنى للإسلام إلا تسليم حياة الإنسان كلها لله، ولا يتحقق هذا إلا بتحكيم شرع الله في حياته كلها، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

س (٨٩): ما معنى الوطنية؟ وما الذي يقدِّمه المسلم الولاء للإسلام أم للوطن؟

ج: الوطنية هي نسبة إلى الوطن، والوطن هو الأرض التي يعيش عليها مجموعة من الناس.

ومعنى الوطنية أن يوالي الناس بعضهم بعضًا على أساس الوطن الذي يعيشون عليه سويًّا، ولا يُعيرون اهتمامًا لما بينهم من الفوارق في الدين وغيره.

فالوطنية دعوة إلى تجمُّع أبناء الوطن الواحد على حب الوطن والتفاني في خدمته والولاء له بغضِّ النظر عن أيّ اعتبار آخر، فلا ينظر الوطنيون إلى اختلاف أبناء الوطن الواحد في الدين أو اللغة أو الجنس أو غيرها، فالذين يعيشون على وطن واحد يجب أن لا يميزهم عن بعضهم أي شيء آخر لا الدين ولا الجنس ولا اللون، فالمصري أخو المصري، والليبي أخو الليبي، يتعايشون مع بعضهم في سلام تام متساوين في الحقوق والواجبات، المسلم والنصراني واليهودي والمجوسي والوثني وغيرهم على حدٍّ سواء، لا اعتبار لفارق الدين ولا غيره.

فاعتبَروا الوطن محورًا للتمييز بين الناس عِوضاً عن التمييز بينهم على أساس الإسلام أو الكفر، وعلى هذا الأساس توضع القوانين والمبادئ، فالمواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة، فالقانون يُلغي التمييز على أساس أي انتماء آخر غير الانتماء للوطن.

ولهذا فإن الوطنية بهذا الشكل خروج عن دين الله، وعن الاعتصام بحبله المتين، وخروج عن الولاء لله إلى الولاء للطاغوت، ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

فالإسلام يقوم أساسًا على إخلاص الولاء لله، والوطنية تقدِّم الولاء للوطن على كل شيء، والمسلم لا يوالي ويعادي إلا في الله، يوالي على الإسلام ويعادي على الكفر، ولا يفرق بين الناس إلا على أساس الإسلام والكفر، لا يفرق بينهم على أساس الوطن ولا العرق ولا اللون ولا اللغة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [التوبة: ٧١].

ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ(٢) الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ(٣) الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ»(٤).

والمسلم لا يكره وطنه ولكن يكره ما فيه من الكفر وأهله، ولا ينكر نسبه، ولا ينتسب إلى غير قومه، كما لا ينتسب إلى غير أبيه، ولكن هذا الانتساب إلى القوم أو الموطن لا يكون على حساب الانتماء إلى الإسلام، ولا تكون تلك الأخوة في الدم على حساب الأخوة في الدين.

س (٩٠): ما معنى قولهم (إرادة الشعب من إرادة الله)؟ وما حكم هذه المقالة؟

ج: هذا القول الباطل يعنون به أن للشعب الحق في أن يفعل ما يشاء ويتصرف في حياته كما يريد، لا يلزمه أن يتقيد بشريعة معينة وإن كانت من عند الله، بل له أن يختار النظام الذي يتماشى معه، ويضع القانون الذي يراه، وهو في كل ذلك لا يكون مخالفًا لمراد الله لأن إرادته من إرادة الله، فما اختاره الشعب لنفسه لا يتعارض مع ما يريده الله، وهم بذلك قد ساووا الشعب بالله وجعلوه شريكًا في الألوهية والربوبية، يحكُم ويشرّع مع الله، وزادوا على ذلك بأن جعلوا ما يشرِّعه الشعب ويقرّره موافقًا لمراد الله.

وهذا هو دين المشركين الذين حكى الله عنهم قولهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ

---

(١) رواه أحمد، والبيهقي في الشُعَب، وأبو نعيم في الحِلية، وصححه ابن تيمية في الاقتضاء، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

(٢) العُبِّيَّةَ: بضم العين وكسرها، الكِبْر والنخوة.

(٣) الجِعْلَانِ: جمع جُعَلٍ بضم الجيم وفتح العين، وهو دويبة سوداء تشبه الخنفساء تأكل الغائط والروث.

(٤) رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن، وصححه ابن تيمية في الاقتضاء.

عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقولهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥].

فأولئك الكفار الذين حكى الله عنهم هذا القول زعموا أن الله رضي منهم عبادتهم غيره وتشريعهم الأحكام والقوانين والحلال والحرام من دونه، وحجتهم في ذلك أن شركهم وتشريعاتهم كانت بمشيئة الله، ولو شاء الله ما حدث شيءٌ من ذلك، وقالوا إن الله قادرٌ على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه لا نفعله، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منَّا وأمرنا به لَحَالَ بيننا وبين ذلك، فقال الله تعالى تكذيبًا لهم: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ من كفار الأمم الخالية، فكذّبهم الله في زعمهم أن الله رضي منهم ما فعلوه، وأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمدًا ﷺ (فيما آتاهم به من عند الله من النهي عن عبادة شيءٍ غير الله تعالى وتحريم غير ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله) مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة لله ورسله.

ومن يحتج على باطله بإرادة الله أو مشيئة الله لو أنك أخذتَ ماله أو ضربتَه وقلتَ له (وقع هذا مني بمشيئة الله فليس لك أن تنكر عليّ)، لن يرضى بذلك، وسوف ينكر عليك استدلالك بالمشيئة ويطالبك بحقه، فكيف أجاز هذا في حق الله وأنكره في حقه؟!

سبحان الله وتعالى عما يشركون به ويفترون عليه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

س (٩١): ما هو موقف المسلم من دعوة السلام العالمي؟

ج: السلام العالمي من الدعوات والشعارات التي ينادي بها العلمانيون الذين ينكرون تدخل الدين في علاقة الناس مع بعضهم وفي شئون الحياة العامة، ولا يؤمنون بأن الحياة كلها يجب أن تكون على منهج الله محكومة بشريعة الله سواءٌ علاقة العبد بربه أو علاقته بغيره ممن كان على دينه أو كان مخالفًا له، ولا يدينون بإخلاص الولاء لله وحده.

وهذا السلام العالمي المزعوم الذي يدعون إليه إنما يريدون به إلغاء جميع الفوارق بين شعوب العالم، وإنهاء العلاقات الودّية بين الدول على أساس احترام المساواة في الحقوق بين الشعوب جميعها وعدم التمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين... والعامل المشترك بينهم جميعًا هو الأخوة الإنسانية على أساسها يوالي الناس بعضهم بعضًا، ولا يعيرون اهتمامًا لفارق الدين، فالإنسان الشيوعي الملحد كالإنسان اليهودي أو النصراني أو المسلم كلهم متساوون في الحقوق، ولكلٍّ حق الإخاء والولاء لإنسانيته.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

هذا السلام العلماني العالمي المزعوم الذي يُنادىٰ به في أرجاء المعمورة يتصادم مباشرة مع عقيدة التوحيد ودين المرسلين الذي يقوم أساسًا على الولاء لله ورسوله وللمؤمنين والبراءة من الطاغوت وأوليائه المجرمين، فالمسلم لا يُآخي ويناصر ويوالي إلا في الله وحده، فيوالي المسلم لإسلامه ويؤاخيه ويحبه ويناصره ويسالمه، ويبرأ من الشرك وأهله، ويعادي المشركين لشركهم ويبغضهم ويعتزلهم ويجاهدهم، ولا يقف أبدًا في صف المحاربين لله ورسوله والمسلمين.

فالدعوة إلى التعايش السلمي الأخوي بين المسلم والكافر جنبًا إلى جنب لتحقيق الأمن والسلام والمصالح الدنيوية وأن يعطي المسلم للكافر ما يعطيه لأخيه المسلم من الحقوق دون مراعاة فارق الدين بينهما هي دعوة للكفر وهدم الأساس والأصل الذي يقوم عليه الإسلام.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤٤].

والسلام العالمي لا يمكن أن يتحقق إلا في حالة واحدة فقط هي أن يسود الإسلام جميع أنحاء الأرض ويكون الدين كله لله، دون أن يُكره الناس على الدخول في الإسلام بعد أن يدخلوا جميعًا تحت سلطانه، ويتكفل لهم الإسلام بحفظ حقوقهم وتوفير الأمن والسلام.

أما السلام الذي يدعون إليه فهو في الحقيقة دعوة للخضوع والانقياد لسلطان الكفر، بحيث تكون السيادة للدول الكبرى الكافرة وتكون قراراتها وحدها التي لها حق الاحترام والتقديس والتنفيذ، ولن تكون قراراتها إلا خادمة لمصالحها حامية لنفوذها محققة لأهدافها، والواقع أصدق دليل على ذلك ولا يحتاج العاقل أن يُنبه إليه، ولكن عجبًا ممن يرفض أن ينقسم العالم إلى إسلامي وغير إسلامي، وهو مقتضى التفريق بين الإسلام والكفر، ويقبل من جهة أخرى التقسيمات التي وضعها المحتلون لخدمة مصالحهم، ويميِّز على أساسها بين من هو مواطن ومن هو أجنبي عن الوطن، ويرى في ذلك قمة التطور والرقي الحضاري، وهو قمة الانتكاس والهوان.

س (٩٢): ما هو موقف المسلم من الشرعية الدولية؟

ج: مصطلح (الشرعية الدولية) يُنادىٰ به اليوم كثيرًا لترسيخه في أذهان الناس، أحيانًا ينادون (باحترام الشرعية الدولية)، وتارة (بتحريم الخروج على الشرعية الدولية)، وأحيانًا (بالالتزام بقرارات الشرعية الدولية).

والمقصود بالشرعية الدولية الاحتكام والالتزام بالمبادئ والقوانين والتشريعات الوضعية التي تحكُم وتوجِّه العلاقات الدولية وفقًا لتشريعات الدول الكبرى العلمانية الكافرة التي تتماشى مع أعرافهم وتحقق مصالحهم، هذه المبادئ والقوانين تصدر عن الهيئات الدولية كالأمم المتحدة وأجهزتها التي تمثل الشرعية الدولية والنظام الدولي، وتعتبر المرجعية الأولى في كل قضية من قضايا العالم منها تُؤخذ الأحكام والقرارات ويُرجع إليها في الخلافات والنزاعات والإجراءات.

وبهذا تكون الشرعية الدولية جملة من الأحكام والمبادئ الجاهلية التي تمثل الطاغوت الذي تحتكم إليه دول العالم وترجع إليه عند النزاع والخلاف.

ومن المعلوم أن الإنسان لا يكون مسلمًا إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده ربًّا ووليًّا وحكَمًا ومشرِّعًا ومعبودًا، ولا يبقى الرجل في دائرة الإسلام لحظة واحدة لو نقض هذا الأصل الذي كان به مسلمًا.

ولهذا فإن موقف المسلم من الشرعية الدولية هو موقفه من الطاغوت أيًّا كان شكله وصورته، لا بد أن يكفر بهذه الشرعية الجاهلية وبمن شرعها وبمن اتّبعها أو احترمها أو دعا إليها أو حرّم الخروج عنها، فلا شرعية ولا قدسية ولا اعتبار إلا لما أنزل الله وشرعه لعباده، فلا شرع إلا شرعه، ولا حكَم لأحد غيره، ولا سلطان على الخلق غير سلطان أمره وشرعه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

س (٩٣): ما الفرق بين حرية الإسلام وحرية الديمقراطية؟

ج: الفرق بين الحرية التي يمنحها الإسلام لأتباعه ومخالفيه والحرية الديمقراطية فرق كبير جدًا، يظهر ذلك من خلال هذه النقاط:

١- الإسلام يقوم أساسًا على التحرر من عبودية البشر بعضهم لبعض والمساواة بينهم جميعًا في كونهم عبيدًا لله وحده، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ

تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

أما في الديمقراطية فالناس محرُومون من هذه الحرية والعزة والشرف والكرامة، ولا يشعرون بأنهم جميعًا يعبدون ربًّا واحدًا سواء الحاكم والمحكوم؛ لأن الديمقراطية تقوم على تعبيد الناس بعضهم لبعض، بعضهم يشرِّع والباقي يسمع ويطيع ويتّبع، وحتى لو أن الشعب كله صار مشرِّعًا لما خرجوا عن ذُل العبودية لغير الله؛ لأنهم سيكونون عبيدًا لأهوائهم وشياطينهم.

٢- والحرية لا بد لها من ضابط وإلا صارت فوضى، ولم يأت الإسلام ليحرُم الناس من الحرية ولكن ليضبطها بالضابط التي لا تصح بدونه، فالإسلام يسمح بحرية الفرد أو المجتمع في إطاره، فيكون الضابط للحرية هو شرع العليم الحكيم الخبير الذي خلق الناس ويعلم ما يصلحهم، أما حرية الديمقراطية فالضابط لها القانون الوضعي الذي وضعه مجموعة من البشر ذو عقول قاصرة وفطر منحرفة وأهواء فاسدة لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، فالشرائع الوضعية لا حرية في تركها أو اتّباعها في ظل الديمقراطية.

٣- والإسلام لا يجبر الناس على اعتناقه، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، لكن من حقه أن يكون حكمه فوق الكل لأنه حكم أحكم الحاكمين ورب الناس أجمعين وملِكهم وإلههم، والديمقراطية تكفل الحرية في الاعتقاد في كل باطل إلا عقيدة التوحيد القائمة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده فهذه العقيدة تعتبر جريمة في شريعة الديمقراطية.

٤- والإسلام لا يدعو إلى الكفر والتنوع في العقائد والأديان لأن كل ما خالف الإسلام فهو باطل لا يقبله الله ولا ينفع شيئًا وصاحبه خاسر في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولهذا فإنه لا يقبل بالحرية المطلقة في الاعتقاد كما تبيحها الديمقراطية، ولا يشجِّع على الكفر كما

تفعل الديمقراطية، ويعاقب على الرِّدة، ويقيم حدًّا فاصلًا بينه وبين الكفر، ويميِّز بين أتباعه ومخالفيه ولا يساوي بينهم.

٥- الإسلام ضد الحريات بالمفهوم العلماني الذي يعرفه الناس اليوم، ومنه حرية نشر الكفر والعصيان! وضد الديمقراطية التي تبيح مخالفة شرع رب العالمين، بل تمنع من تحكيمه وترفض أن يكون له السيادة. فالإسلام لا يتفق أبدًا مع الديمقراطية وسائر النظم الجاهلية في مفهوم الحرية.

س (٩٤): ما معنى قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾؟

ج: أي لا يجوز أن نكره أحدًا على الدخول في الإسلام وهو لا يريده.

ومن العلماء من قال أن هذه الآية خاصة فيمن أقرَّه الإسلام على دينه المخالف وأخذ الجزية منه كأهل الكتاب.

ومنهم من قال هي عامة في الكفار كلهم.

وروي أن هذه الآية نزلت في قوم من الأنصار كان لهم أولاد عند اليهود قد هوَّدوهم فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراه أولادهم عليه فنهاهم الله عن ذلك[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا تَكَادُ يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ فَتَحْلِفُ: لَئِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُهَوِّدَنَّهُ. فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ إِذَا فِيهِمْ نَاسٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ. فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَبْنَاؤُنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَنْ شَاءَ لَحِقَ بِهِمْ، وَمَنْ شَاءَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ[(٢)].

مع العلم أن حُكم الإسلام يجب أن يُفرض في الأرض كلها طوعًا أو كرهًا، ولذلك كان جهاد الطلب والجزية، وبعد فرضه لسلطته - أي الإسلام - يترك للناس الحرية في اعتناقه، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾

---

(١) انظر تفسير الطبري.

(٢) رواه أبو داود، والبيهقي، وابن حبّان وصححه، وذكره السيوطي في الدر المنثور، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن منده، وابن مردويه، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة.

[الأنفال:٣٩]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٩].

والإسلام لا يستعمل السيف كوسيلة للإقناع وإلا لما بقي يهودي ولا نصراني ولا مجوسي في البلاد التي حكمها المسلمون، ولكن يستعمل القوة كوسيلة لتحطيم القوى المتحكمة في رؤوس العباد والتي تمنع الناس من الإسلام.

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ»(١).

س (٩٥): ما هو موقف المسلم من دعوة حرية المرأة؟

ج: حرية المرأة التي ينادي بها الكفار العلمانيون هي جزء من العلمانية التي ترفض تدخل الدين في حياة الإنسان الشخصية، ويزعمون أن المرأة كالرجل لها مطلق الحرية في تصرفاتها الشخصية في لباسها مثلًا وفي سلوكها الجنسي أيضًا، من حقها أن تظهر كامل زينتها أو تخفيها، وأن تخالط من الرجال من تشاء، وتتخذ معهم العلاقة التي تريد، كل ذلك مباح لها من غير أي قيد ديني شرْط ألا تتجاوز ما يسمح به القانون الوضعي الذي يزعمون أنه يحفظ حريتها ويحرسها حيث يبيح لها الزنا والتبرج والسفور ولا يحرِّم إلا الاغتصاب.

(١) رواه مسلم.

وهذه الحرية المزعومة تخالف مبدأ الإسلام القائم على إخلاص العبودية لله بقبول شرعه والانقياد له ورفض ما خالفه، والخروج عن داعية الهوى والشهوة والوقوف عند حدود الله ومحارمه.

فالمسلم يرفض هذه الحرية البهيمية الشهوانية ويكفر بها وبالداعيين إليها والمروِّجين لها لأنها خروج عن عبودية الله إلى عبودية الهوى والشهوة وانتهاك صريح لحدود الله وتحليل لما حرم الله الذي له وحده الحكم والتشريع.

والمسلم سواءٌ كان ذكرًا أو أنثى يؤمن إيمانًا جازمًا بأن ما شرعه الله من الحلال والحرام وما وضعه له من الحدود خيرٌ وأعدل وأحكم مما عند الجاهلية، وينقاد لحكم الله عن رضًا ومحبة وطواعية.

والإسلام لم يَحْرِم المرأة من حقوقها ولم يجعلها أَمة خادمة للرجل مستعبَدة عنده، بل جعل لها حقوقًا على زوجها وأولادها ووالديها وعلى الدولة أيضًا، وجعل عليها واجبات، كل ذلك بحدود وضوابط شرَعها من خلق الذكر والأنثى وهو أعلم بما يصلحها، ولا يظلم عنده أحد، سبحانه وتعالى العليم الخبير.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

تأمل قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»(١).

س (٩٦): ما هو موقف المسلم من مدارس الكفار؟

ج: أما المدارس التي يتعلم فيها الطفل الخط والكتابة والقراءة والحساب وما هو مباح وضروري للطفل، وكذلك التي تقدّم علومًا تقنية تجريبية مباحة فقط، مثل معاهد التكوين والجامعات المتخصصة يجوز للمسلم أن يتعلم فيها علمًا ينفعه.

وأما المدارس في مراحل التعليم الأولى فغالبًا ما تكون مُعدَّة خِصّيصًا لتربية الأجيال التربية التي تناسب واقع البلد والنظام السائد فيها والدين الغالب عليها، ولهذا نجدها اليوم تقدّم التربية التي تحمل عقائدهم وأخلاقهم بطريقة صريحة أحيانًا أو ماكرة أحيانًا أخرى لا يتفطن لها إلا المختصون في علم التربية.

ومن الأمور الواضحة تربية الأجيال على الولاء الكامل للوطن ومبادئه والدفاع عنه ولو بالوقوف ضد الإسلام، والمشاركة في أعياده وتخليد أمجاده الجاهلية وغير ذلك.

وكذلك النظرة المادية للحياة حيث يسعون بطريقة خبيثة لترسيخ مبدأ العلمانية ليتخرج جيل لا يمانع بفصل الدين عن الحياة ولا يرى حرجًا في أن يحكم حياته قانون وضعي.

وغير ذلك من الأمور التي تخالف الإسلام.

فالذين يرسلون أبناءهم لهذه المدارس إنما يقدّمونهم للكفار ليربّوهم كما شاءوا، ويغيّروا فطرتهم السليمة لينشئوا على دينهم وعقائدهم، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(٢)، فالمربي سواءٌ كان الأب أو المدرسة له تأثيرٌ كبير على فطرة الطفل، وفي مدارس الكفار لا يعلّمون الطفل الإسلام، ولا يبقون فطرته على ما هي عليه، بل

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم. والفطرة هي الإسلام.

لا بد أن يتأثر بتربيتهم ومناهجهم، ومن الصعب أن يمحو الآباء ما تعلّمه أولادهم في هذه المدارس، وفي كثير من المدارس يفعل الأطفال الكفر ويقولونه.

فعلى المسلم أن يجتنب ويجنِّب أبناءه ما فيها من كفر ومنكرات، ولا يترك ابنه للكفار يحشون ذهنه بكفرهم والذي ستظهر عواقبه بعد حين، ومن لم يستطع فعليه أن يجتنبها ليسلم له ولابنه دينه، ولا يعني هذا أن يترك ابنه جاهلًا أُمِّيًّا، بل عليه أن يصبر على تربية أبنائه ويتحمل التعب في ذلك، ويتعامل مع الواقع وفق معطياته بما لديه من حيلة حتى يُنجي أهله من النار.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)].

س (٩٧): ما هو موقف المسلم من والديه إن كانا مشركَين؟

ج: حق الوالدين على الأبناء من الحقوق التي حرص الإسلام على أدائها وعظَّم قدرها وحذَّر من التفريط فيها، فأمر ببرِّ الوالدين وحذّر من عقوقهما، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ حق الوالدين مقرونًا بحقه في أكثر من موضع في كتابه في السور المكية والمدنية، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

والإسلام يأمر بالإحسان للوالدين وإن كانا مشركين كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

فأمر بِبرِّهما ومصاحبتهما بالمعروف وإن كانا مشركين، ونهى عن طاعتهما في الشرك بالله ومعصيته.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قال: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ. فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

فحث الله عَزَّوَجَلَّ سعدًا على البِرِّ بأمه ونهاه أن يطيعها في الشرك.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ آصِلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[2].

ومن أعظم ما يقدِّمه المسلم لوالديه المشركين أن يدعوَهما إلى الإسلام برفق ولين ويجتهد في ذلك كما اجتهد إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في دعوة أبيه للإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم: ٤١-٤٧].

وقد نهى الله المؤمنين عن الاستغفار للمشركين الذين ماتوا على كفرهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

س (٩٨): ما هو الشرك الأصغر؟

ج: الشرك الأصغر هو الشرك الذي لا يُخرج صاحبه من الإسلام، وهو من الكبائر، وأنواعه كثيرة، منها:

الرياء، ويسمى الشرك الخفي، وهو أن يعمل الإنسان أعمالًا صالحة ونيته ليست خالصة لوجه الله، ولكنه يريد مع ذلك أن يحمده الناس عليها ويحسنوا عليه الثناء.

قال الله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، يعني ينفق ماله ليحمده الناس عليه فيقولوا هو سخِيٌّ كريم، وهو رجل صالح، فيُحسنوا عليه به الثناء ويمدحوه.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا

(١) رواه أحمد، والبيهقي، والطبراني، قال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

س (٩٩): ما هو الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

ج: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر هو:

الشرك الأكبر يناقض التوحيد الذي هو أصل دين الإسلام ويبطله، فصاحبه لا يكون مسلمًا بل هو مشركٌ كافر، والإنسان لا يكون مسلمًا إلا بالبراءة من الشرك الأكبر ومن أهله.

وأما الشرك الأصغر فهو من كبائر الذنوب التي قد يقع فيها المسلم ولا تخرجه من الإسلام.

الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، فلا ينفع من وقع في الشرك الأكبر أي عمل صالح، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

وأما الشرك الأصغر كالرياء فلا يحبط إلا ثواب العمل الذي قارنه فقط، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٢).

الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا أن يتوب منه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨].

وأما الشرك الأصغر فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر لصاحبه وإن شاء عاقبه عليه بالنار.

الشرك الأكبر من مات عليه فهو مخلدٌ في نار جهنم والجنة عليه حرام، ولا نصيب له من الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدّثر: ٤٨].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

وأما الشرك الأصغر فصاحبه لا يخلد في نار جهنم، وتناله شفاعة المصطفى ﷺ، فيخرج من النار ويدخل الجنة برحمة الله.

س (١٠٠): هل الحلف بغير الله شرك أصغر أم شرك أكبر؟

ج: الحلف بغير الله شرك، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»(١).

قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر حسب قائله واعتقاده ومقصده، فإذا حلف بغير الله تعظيمًا له وإجلالًا ورهبة منه واعتقد أن من حلف به غير الله يوقع به العقوبة إن كان كاذبًا فهذا شرك أكبر، كما هو الحال عند عُبّاد القبور.

وإن كان مجرد لفظ يجرى على لسانه دون أن يقصد به تعظيم المحلوف به أو يعتقد فيه ما لا ينبغي إلا لله فهو شرك أصغر، يجب عليه أن يتوب منه، ولا يحلف إلا بالله.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»(٢).

س (١٠١): ما حكم قول القائل: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وأمثال هذا؟

ج: هذه الألفاظ محرمة وهي من الشرك الأصغر لأن ظاهر اللفظ يعطي الإشراك بالله، فإن الواو تقتضي التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه مع أن القائل لا يقصد ذلك، فالواجب على المسلم أن يقول ما أرشده إليه الرسول ﷺ، فيقول: ما شاء الله وحده أو ما شاء الله ثم شئت، وما لي إلا الله ثم أنت، وأنا متوكل على الله ثم عليك، ولولا الله ثم أنت لم يكن كذا وكذا.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»(٣).

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حبّان وصححه، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجة، والنسائي في الكبرى، وقال الحافظ العراقي: رواه النسائي في الكبرى وابن ماجه بإسناد حسن.

وفي الحديث: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وَيَقُولُونَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ»(١).

س (١٠٢): متى يكون الإنسان عبدًا للدرهم والدينار؟

ج: إذا صار المال أكبر همّ الإنسان، وصار مقصوده ومطلوبه الذي يعمل له، ويسعى في تحصيله بكل ممكن، حتى صارت نيته مقصورة عليه، يغضب ويرضى له، وقع في نوع من العبودية لغير الله، فصار كأنه يعبد الدرهم والدينار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ..»(٢).

فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم، وقد وصَف ذلك بأنه إن أُعطي رضي وإن مُنِع سخِط، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ ﴾ [التوبة: ٥٨]، فرضاهم وسخطهم لغير الله، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ

---

(١) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في الإصابة: إسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري. والدينار هو النقد من الذهب، والدرهم هو النقد من الفضة، والخميصة هي الثياب الجميلة، ومعنى قوله ﷺ: إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، ثم دعا عليه وقال: تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش: فيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبِّطه عن السعي والحركة، وسوّغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات، فدعا عليه بالانتكاسة وعدم تيسر الأمور له حتى في إخراج الشوكة من جسمه لأنه أسهل ما يتصور من المعاونة، فإذا انتفى ذلك الأسهل انتفى ما فوقه بطريق الأولى.

الْإِيمَانَ»(١).

س (١٠٣): ما حكم ما يعلّقه الناس لدفع العين والآفات عنهم؟

ج: إذا كان تعليقهم لها لظنهم أنها سببٌ يحفظ الإنسان من الضرر ولا تأثير لها إلا بإذن الله فهذا من الشرك الأصغر لأن الله لم يجعلها سببًا لذلك، وهم قد اتخذوها سببًا لم يأذن به الله، والأسباب التي تدفع البلاء لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله ﷺ مع عدم الاعتماد عليه.

وإما إن كان تعليقهم لها لاعتقادهم أنها تدفع العين والبلاء بنفسها فهذا شرك أكبر، لأنه لا يدفع البلاء ويكشف السوء إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقد وردت أحاديث في النهي عن تعليق مثل هذه الأشياء:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلاَ وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»(٢).

وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»(٣).

والتميمة خرزات كانت العرب تعلّقها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم، فأبطلها الإسلام.

والودَعة شيءٌ يخرج من البحر يشبه الصدف، يتَّقون به العين.

---

(١) رواه أبو داود، والبيهقي، والطبراني، والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد، والحاكم وقال عنه: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات.

(٣) رواه أحمد، والحاكم، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: ورواة أحمد ثقات.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً (أُرَاهُ قَالَ: مِنْ صُفْرٍ)، قَالَ: « وَيْحَكَ! مَا هَذِهِ؟!». قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[١].

قال أبو السعادات: [الواهِنة عِرقٌ يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ في العضد، وربما عُلّق عليها جنسٌ من الخرز يقال له خرز الواهنة، وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها][٢]ا.هـ.

س (١٠٤): ما معنى «لَا عَدْوَى» الواردة في الحديث الصحيح «لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ»؟

ج: الحديث كما جاء في الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ، فَيُجْرِبُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»[٣].

العدوى: هي ما يُعدي، أي انتقال المرض من صاحب الداء إلى غيره فيصيبه مثل مرضه، كالجرب الذي يصيب البعير، أو السُلّ الرئوي، أو الحصبة، أو الوباء الكبدي، أو غيرها.

الصَفَر: داء يصيب البطن ويؤذيه، كان العرب يزعمون أنه يُعدي.

الهامة: قيل هي البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم يراها ناعية له نفسه أو بعض أهله، وقيل أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة تطير، وقيل إن القتيل إذا قتل يخرج له طائر يسمى الهامة فيقول اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

ومعنى لا عدوى: أي أن المرض لا يُؤثِّر بنفسه ويتعدَّى لغيره بطبعه؛ بل بتقدير الله وأمره، وهذا نفي وإبطال ما كان يعتقده الناس في الجاهلية أن هناك أمراضًا تُعدي بطبعها وأن لها تأثيرًا مستقلًا، فيرون أن مخالطة صاحب المرض المعدي تؤدي إلى الإصابة بالمرض حتمًا، ولا مخلص من

---

(١) رواه ابن حبان، والحاكم وقال عنه: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

الإصابة به إلا بالابتعاد عنه، والصحيح أن المرض قد يُعدي وقد لا يُعدي وكل ذلك لا يكون إلا بإرادة الله وقدره، فمن شاء الله أن يصيبه المرض أصابه ومن شاء ألا يصيبه لا يصيبه، وهذا كسائر الأمراض الأخرى، ولهذا قال رسول الله ﷺ في الحديث السابق ردًا على الأعرابي الذي قال: «فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا» فقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»، يعني أن المرض أصاب الأول بدون عدوى، بل نزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فكذلك إذا انتقل إلى غيره فقد انتقل بمشيئة الله وقدره.

وليس معنى الحديث نفي وجود انتقال المرض من المريض إلى الصحيح، فقد جاء في الصحيحين حديث: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[(١)]. أي لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة، وهذا من باب تجنُّب الأسباب التي جعلها الله سببًا للبلاء، لكن لا تأثير لها إلا بإذن الله، وكذلك حذرًا من وساوس الشيطان الذي يُملي عليه أن ما أصابه أو أصاب إبله هو بسبب العدوى. فمخالطة المريض للصحيح سببٌ من أسباب انتقال المرض، ولكن ليس معنى ذلك أنه واقعٌ لا محالة، بل لا يقع إلا إذا شاء الله.

وقد جاء في الصحيح أيضًا: «وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»[(٢)]. فقد تكون مخالطة المجذوم سببًا للإصابة بالمرض، فيتجنب الإنسان مخالطته لئلّا ينتقل المرض من المجذوم إليه إذا اختلط به، وقد يخالط الصحيح المريض المجذوم ولا يصيبه شيء.

فلا يجوز للمسلم أن يعتقد العدوى، ولكن يجوز له أن يأخذ بالأسباب الواقية من وقوع الشر، وذلك بالبعد عمن أصيب بمرض يُخشى انتقاله منه إلى الصحيح بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، كالجرب والجذام وغيرهما.

ومن قوي توكله وثقته بالله وأراد أن يخالط المرضى فلا حرج ولا مانع من ذلك، فقد جاء في الأثر: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ فِي

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

الْقَصْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: «كُلْ بِسْمِ اللَّهِ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ»[(١)] والله أعلم.

س (١٠٥): ما معنى الطيرة والتطير؟ وما حكمها؟

ج: الطِّيَرَة والتطّير هو التشاؤم وتوقع حصول المكروه من رؤية أو سماع شيء معين لم يجعله الله سببًا لذلك، وهو من عمل الجاهلية، فكانوا يزجرون الطير فإذا طار جهة اليمين استبشروا ومضوا في أمرهم، وإذا طار جهة اليسار تطيروا فيتركون ما عزموا عليه، حتى إن أحدهم يربط متاعه ويجهِّز راحلته يريد السفر فيتطير فيرجع عن عزمه، وكانوا يتشاءمون إذا رأوا شيئًا لا يناسبهم مثل الغراب، أو الحمار الأسود، أو مقطوع الذنب، أو طائر البوم، وما أشبه ذلك.

والطيرة نوع من أنواع الشرك لما فيها من تعلّق القلب على غير الله تعالى، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون أنها تجلب لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبها، فنفاها الشارع وأبطلها وأخبر أنه لا تأثير لها في جلب نفع أو دفع ضر.

ولهذا يجب على الإنسان إذا وجد في صدره شيئًا من التطير أو رأى ما يتشاءم به ألا يرجع عن حاجته، بل يمضي في حاجته ويتوكل على الله ويعتمد عليه، وأن لا يبالي بهذه الأوهام التي يجرّها الشيطان إليه ليضعف إيمانه ويوقعه في الشرك، فالله وحده بيده الضر والنفع، وبيده العطاء والمنع، فمن ردَّتْه الطِّيَرة عن أمره وامتنع بها مما عزم عليه فقد وقع في الشرك، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله وصار فريسة للشيطان.

وقد ورد في النهي عن التطير آثار كثيرة منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»[(٢)].

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ». قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وقال عنه: حديث غريب، ورواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ». وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ(١).

وقوله «وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» هذا كلام ابن مسعود، أي وما منا إلا وقد يقع في قلبه شيء من ذلك، ولكن لمّا توكلنا على الله وآمنا به، أذهب الله ذلك عنّا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»(٢).

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ. قَالَ: «فَلاَ تَأْتُوا الْكُهَّانَ». قَالَ: قُلْتُ كُنَّا نَتَطَيَّرُ. قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ لَازِمَاتٌ لِأُمَّتِي: الطِّيَرَةُ، وَالْحَسَدُ، وَسُوءُ الظَّنِّ»، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا يُذْهِبُهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّنْ هُوَ فِيهِ؟ قَالَ: «إِذَا حَسَدْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ»(٤).

س (١٠٦): ما الفرق بين الطِيَرة والفأل الحسن؟

ج: الفأل هو أن يسمع الإنسان الكلمة الطيبة فتسُرُّه وتُعجبه ويتيمَّن بها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ». قِيلَ يَا رَسُولَ

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: حديث صحيح سنده، ثقات رواته، وأقره الذهبي.

(٢) رواه أحمد، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني، وفي سنده ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن حارثة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي في المجمع: فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري ضعيف.

اللَّهِ: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»(١).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»(٢).

ومن أمثلة ذلك أن يسمع المريض من يقول: يا سليم، يا معافى فيسرُّه ذلك، أو يسمع من هو في ضيق من يقول: يا فرج، يا نجاح، أو يسمع من يبحث عن ضالة من يقول: يا واجد، أو يا ناجح أو يا موفق، فيسره ذلك ويتفاءل به.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ يَا رَاشِدُ يَا نَجِيحُ(٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا، فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ بِهَا وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ(٤).

والفرق بين الطيرة والفأل: أن الطيرة من التشاؤم وتوقع الشر وهذا من سوء الظن بالله، وهي توجب تعلق الإنسان بالمتطيّر به واعتماده عليه، وضعف توكله على الله، ورجوعه عن مراده وحاجته من أجل ما رأى أو سمع وتشاءم به، وهي محرمة ونوع من أنواع الشرك؛ لأن القلب يتعلق بشيء لم يجعله الله سببًا في دفع الضر وجلب النفع، وقد سبق الحديث عنها.

أما الفأل فهو من حسن الظن بالله والرجاء فيه وتوقع الخير، والتفاؤل بالخير يشرح النفس، ويزيد المتفائل قوة وثباتًا ونشاطًا، والإنسان يرجو بالفأل الحسن حصول حاجته بيسر وسهولة بتوفيق الله ومنِّه وحسن ظنه بربه.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٤) رواه أبو داود، وأحمد، والنسائي، والبيهقي، وابن حبّان وصححه، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح.

والفأل الحسن مستحبٌ ولا يقدح في توحيد الإنسان وصدق توكله على ربه.

والفأل الذي يُستحب هو أن يفعل المسلم أمرًا أو يعزم عليه متوكلًا على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسرُّه ويستبشر بها، مثل أن يسمع: يا نجيح يا مفلح يا سعيد يا منصور ونحو ذلك.

مثل ما جاء في صحيح البخاري: أنه لما جاء سهيل بن عمرو ليكتب مع رسول الله ﷺ صلح الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»[(١)]، تفاؤلًا باسم سهيل.

س (١٠٧): ما معنى حديث «الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»؟

ج: هذا الحديث ثابت في الصحيحين بعدة روايات منها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ»[(٢)].

وعن ابن عمر أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ، فَفِي الْفَرَسِ، وَالْمَسْكَنِ، وَالْمَرْأَةِ»[(٣)].

ومعنى الحديث أن هذه الأشياء الثلاثة (الفرس والمرأة والدار) قد يكون في بعضها شؤمٌ وشرٌ وضررٌ على من صاحبها أو ساكنها، وذلك بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ، هو الذي خلق هذه الأشياء وخلق فيها الشؤم وجعلها سببًا للضرر على من قاربها، كما أنه يخلق أشياء مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤمٌ ولا شرٌ، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها.

فمن حصل له الضرر بسبب مقاربته لإحدى هذه الثلاثة فليعلم أن هذا بتقدير الله وحكمته، فهو مقدّرٌ مكتوب عليه، فلا يصيبه إلا ما كُتب له، ولكن مع هذا فلا مانع من مفارقة المرأة المشئومة، أو الدابة، أو الدار، مع الإيمان بقضاء الله وقدره، وذلك من باب البعد عن أسباب الضرر، فمتى تضرر الإنسان من شيءٍ منها جاز له تركه ومفارقته مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن هذه الأشياء ليس لها بنفسها تأثير، إنما شؤمها وبركتها ما يقدره الله تعالى فيها من خير وشر.

فإذا خرج عن البيت الذي لم يناسبه، أو طلّق المرأة التي لم تناسبه، أوترك الدابة أيضًا التي لم تناسبه فليس هذا من الطِيَرة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثِيرٌ فِيهَا عَدَدُنَا، وَكَثِيرٌ فِيهَا أَمْوَالُنَا، فَتَحَوَّلْنَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا، وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ذَرُوهَا ذَمِيمَةً»(١).

قال البغوي: [فأمرهم بالتحول عنها، لأنهم كانوا فيها على استثقال لظلها واستيحاش، فأمرهم بالانتقال ليزول عنهم ما يجدون من الكراهية، لا أنها سبب في ذلك](٢).

وقال الخطابي: [قد يحتمل أن يكون إنما أمرهم بتركها والتحول عنها إبطالًا لما وقع في نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب الدار وسكناها، فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم وزال ما كان خَامرَهم(٣) من الشبهة فيها، والله أعلم](٤).

س (١٠٨): ما حكم السحر؟

ج: السحر حقيقة وليس بِوهْم ولا بخيال، وله تأثير بإذن الله تعالى، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان فيُمرض ويقتل ويُفرِّق بين المرء وزوجه، وتأثيره يقع بإذن الله، وهو عمل شيطاني، وكثيرٌ منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الجن والشياطين بما تحب مما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ.

وتعلُّم السحر وتعليمه والعمل به حرام وهو من الكبائر، وهو من علم الشياطين وعملهم، وفي الغالب يكون مقرونًا بالكفر والشرك، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ

---

(١) رواه أبو داود، والبخاري في الأدب المفرد، والضياء في الأحاديث المختارة، والبيهقي في السنن الكبرى، وقال ابن حجر في الفتح: صححه الحاكم.

(٢) شرح السنة للبغوي.

(٣) خامَرَ الشيءَ: قاربه وخالطه.

(٤) معالم السنن للخطّابي.

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

قال أبو الليث: وفي الآية دليل أن الساحر كافرٌ لأنه سمى السحر كفرًا(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(٢).

ولا يجوز استخدام السحر لأي غرض من الأغراض لا في العلاج ولا غيره، فإن السحر باطلٌ ولا يكون طريقًا إلى الخير، والله تعالى قد أغنى عباده بما أباح لهم عما حرم عليهم.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»(٣).

والنُّشرة المذكورة في الحديث: هي حل السحر عن المسحور بالسحر.

والسحر يعالَج بالقرآن الكريم والأدوية المباحة والرقية والتعوّذات الشرعية.

س (١٠٩): ما هو النفاق؟ وما هي أنواعه؟

ج: النفاق هو أن يُظهر الإنسان خلاف ما يبطن، يُظهر الخير ويُبطن السوء.

وهو نوعان:

النوع الأول: النفاق الأكبر وهو النفاق الاعتقادي: وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهذا

---

(١) تفسير السمرقندي.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، وحسنه ابن حجر في الفتح.

النوع مخرج من الملة، ومن مات عليه مات على الكفر وكان في الدرك الأسفل من النار، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا من صفات المنافقين، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٨-١٤].

النوع الثاني: النفاق الأصغر وهو النفاق العملي: وهو أن يتصف المسلم ببعض الصفات التي جعلها الشارع أمارات على النفاق مثل: الكذب في الحديث، والغدر في العهد، وإخلاف الوعد، وهذا النوع لا يخرج صاحبه من الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

س (١١٠): ما معنى حديث افتراق أمة محمد ﷺ إلى ثلاث وسبعين فرقة؟

ج: الحديث جاء بعدة روايات منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجة، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وفي رواية: «... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»(١).

وفي رواية: «... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ «قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٢).

والحديث يدل على أن أمة محمد ﷺ ستفترق بعده فِرقًا كثيرة، وتختلف فيما بينها اختلافًا بعيدًا، وقد حدث ما أخبر به الصادق المصدوق، فقد كان المسلمون عند وفاة النبي ﷺ على عقيدة واحدة وطريقة واحدة، ثم نشأ الخلاف فيما بينهم أولًا في أمور اجتهادية لا توجب تبديعًا ولا تفسيقًا، وبعدها بدأ الخلاف يتدرج ويترقّى شيئًا فشيئًا إلى أن وصل إلى التفرق والتمزق، وصارت الأمة فِرقًا وشِيَعًا كل حزب بما لديهم فرحون ولمن خالفهم مبغضون معادون، وأول هذه الفِرق الخوارج المارقون كلاب أهل النار الذين خرجوا على علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعقيدتهم التكفير بالكبائر من المعاصي ما دون الشرك.

والفرق الضالة هم أصحاب الأهواء والبدع الذين خالفوا ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه فيما دون أصل الدين الذي لا يكون المرء مسلمًا إلا به، فهذه الفرق معدودة من أمة محمد لأنهم موافقون في أصل الإسلام، ومخالفتهم فيما دون الأصل في الأمور التي يكفر مخالفها بعد البيان وإقامة الحجة وإزالة الشبهة، وهي الأصول والعقائد الثابتة بالشرع، ومخالفتهم كانت نتيجة التأويل الفاسد والفهم الخاطئ وعدم الاقتصار على ما كان عليه صدر الأمة المباركة.

وهذا التفرق والاختلاف كان في باب الأسماء والصفات، والوعد والوعيد، وفي باب القدر والإرادة والمشيئة، ونحوها من الأصول الثابتة التي كانت معتقد الرسول ﷺ وأصحابه ومحل اتفاق بين المسلمين في القرون الأولى، وخالفهم فيها أهل الأهواء والبدع من الخوارج والمعتزلة

---

(١) رواه ابن ماجة، والطبراني، قال العراقي في تخريج الإحياء: رجاله موثقون، والحديث صححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب مفسَّر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. والحديث قد حسنه ابن العربي في أحكام القرآن، والعراقي في تخريج الإحياء. وقال البغوي في شرح السنة: ثابت.

والقدرية وغيرهم.

وكل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح من الصحابة ومن سار على نهجهم بإحسان فهو باطل وضلال مبين، ولهذا فإن الفِرق كلها على ضلالة إلا فِرقة واحدة هي المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهي الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة.

قال البيهقي: [قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما بلغني عنه: قوله: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»، فيه دلالة على أن هذه الفِرق كلها غير خارجين من الدين إذ النبي ﷺ جعلهم كلهم من أمته، وفيه أن المتأوِّل لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله][1].

س (١١١): ما معنى أن الإسلام يعود غريبًا كما بدأ؟

ج: أخبر رسول الله ﷺ أن الإسلام سيعود غريبًا كما بدأ، وهذا حقٌّ لا شك فيه، وها نحن اليوم نرى تصديق ذلك واقعًا ملموسًا.

والحديث ثابت في صحيح مسلم وغيره: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[2].

ومعنى الحديث أن الإسلام كان في بداية أمره غريبًا، فعندما جاء رسول الله ﷺ بالإسلام كان الناس في جاهلية جهلاء، لا يعرفون الإسلام ولا يدينون به، فالرسول ﷺ أول من دان بهذا الدين، وتَبِعه على ذلك زوجته خديجة وأبو بكر وابن عمه علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وبدأ عدد الداخلين في هذا الدين يزداد شيئًا فشيئًا على فترات، وظلت الدعوة سرية لما يقارب من سنتين، بدأت بعد ذلك في الظهور شيئًا فشيئًا.

هكذا كانت بداية الإسلام لا يدين به إلا آحاد الناس والقلة القليلة منهم المستضعفة وسط الجموع الكافرة، وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيعود بعد ظهوره إلى مثل الغربة الأولى في وقت من

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي.

(٢) رواه مسلم.

الأوقات، لا يدين به على وجه الأرض إلا القلة القليلة من الناس.

والغرباء الذين بشَّرهم رسول الله ﷺ في الحديث السابق هم الطائفة من الناس الذين يتمسكون بالإسلام يوم يتركه أكثر الناس في زمن غربته وظهور الكفر والفتن والفساد.

والمسلم وحده هو الذي يعرف ماذا تعني غربة الإسلام لأنه يعيشها اليوم واقعًا حيًّا، وليس بحاجة إلى من يوضح له معنى الغربة ومتى تكون، أما الذي يحسب نفسه من المسلمين ولا يعرف حقيقة الإسلام فلا يشعر بالغربة ولا يعاني آلامها لأن أمثاله كثير.

المسلم الذي يعيش بإسلامه، ويمشي به في الناس، ويحمل همَّ الدعوة، ويشعر بثقل الأمانة، هو الذي يعرف معنى قول رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(١).

وقوله: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»(٢).

وقوله: «وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ لَا بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»(٣).

أسأل الله أن يجعلنا من المستمسكين بدينه الحق يوم يضل عنه الناس، ويثبتنا على كلمة الإخلاص، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتّباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

سبحانك اللّٰهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. لكن الحديث صحيح، فإن له شواهد كثيرة يتقوى بها. كالقابض على الجمر: أي كصبر القابض على الجمر في حفظ أمر دينه من الشّدة ونهاية المحنة.

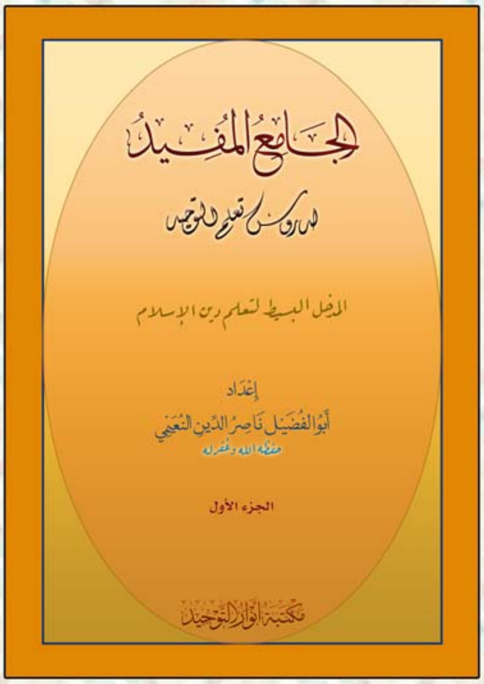
(٣) رواه أبو داود، والترمذي وقال عنه: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

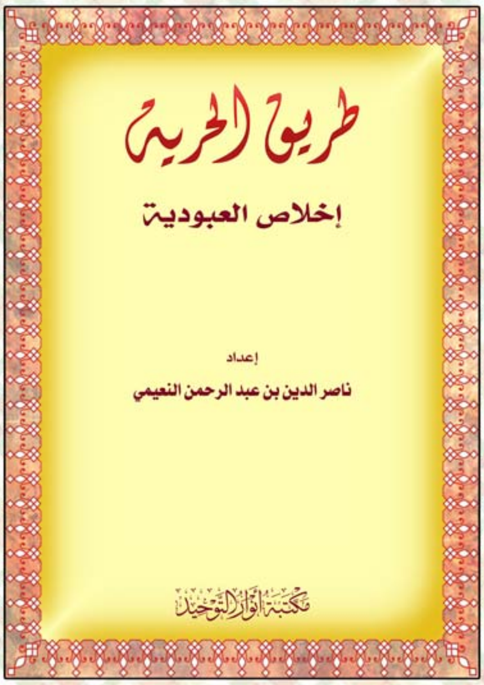
تم بحمد الله

فهرس الكتاب

مِنْ إصدارات المكتبة







الأسئلة والأجوبة المفيدة في التوحيد والعقيدة

أعظم العلوم وأشرفها على الإطلاق العلم الذي يُعرِّف الإنسان بربه وخالقه، ويدلُّه على توحيده، ويبيِّن له الطريق الموصل إليه، وهذا العلم ليس نافلة وإنما فرض عين على كل مكلف، فالواجب على العبد أن يبادر في تحصيل هذا العلم لكي يتمكن من أداء حق الله عليه، فإن نجاته مرهونة بأداء هذا الحق الذي أوجبه ربه عليه وخلقه من أجله.

مكتبة أنوار التوحيد